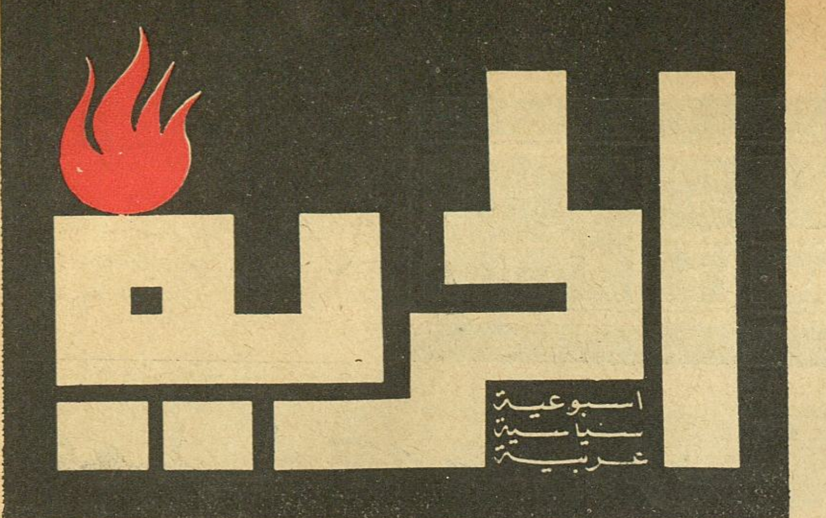
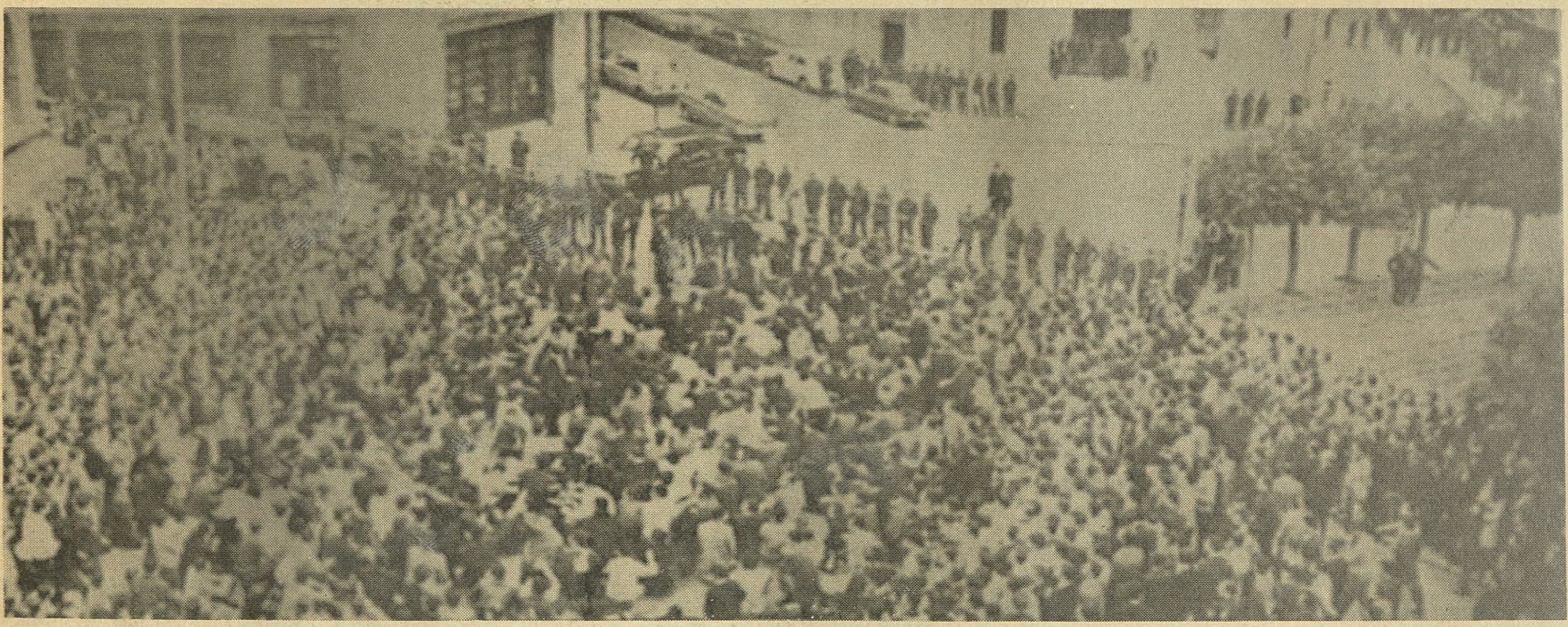


ظفار .. أوساحة الصدام الاخرى في المنطقة العربية

بيروت ● الاثنين ١٩–١–١٩٧٠ ● العدد ٤٩٨ ● السنة الحادية عشرة ● الثمن ٢٥ قرشا لبنانيا ● AL - Hourriah - No 498 ● 19 - 1 - 1970 ● Beyrouth

النضال المطلبي للمعلمين والطلاب

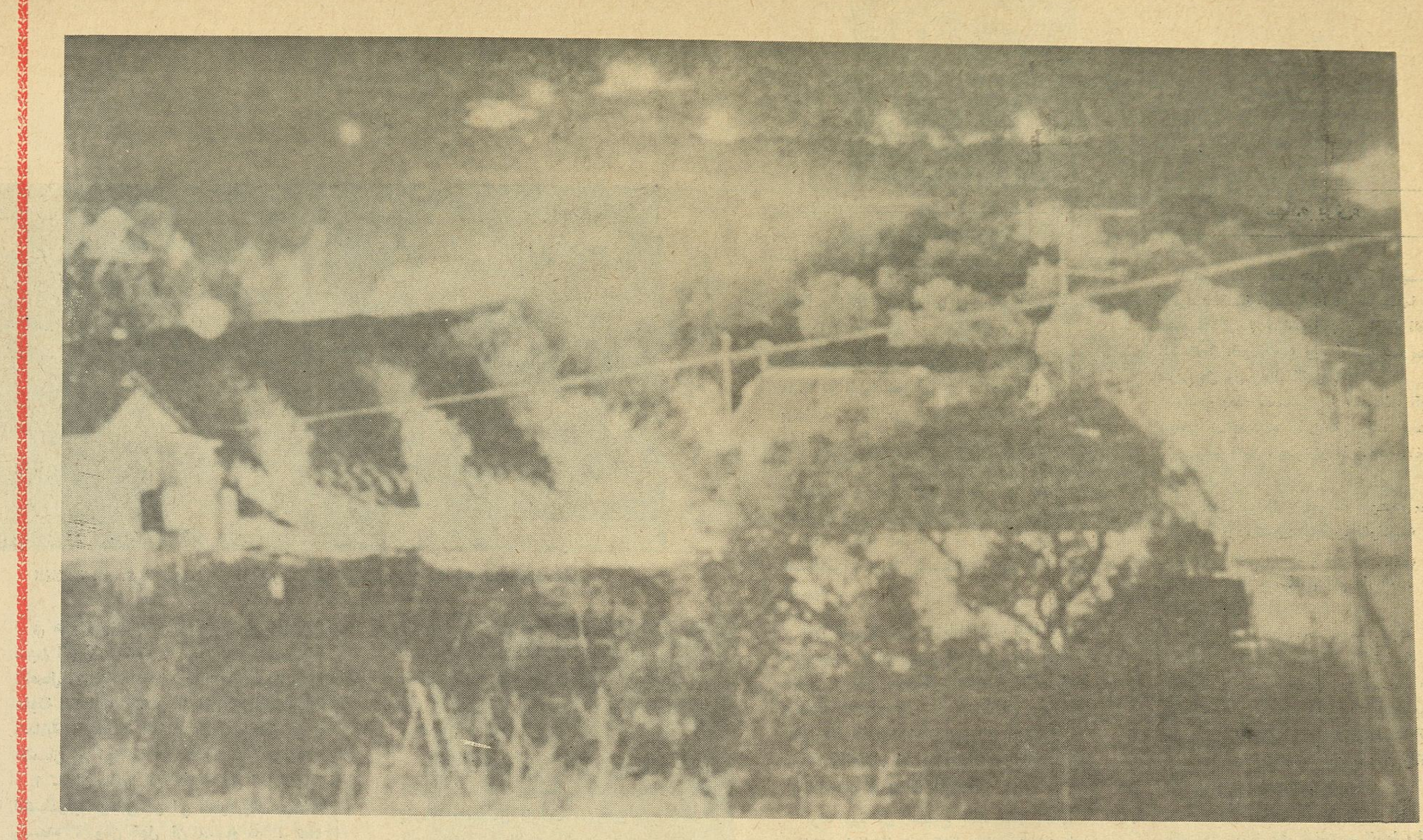
بين وحدة وشمول خطة الدولة .. وجزئية وتفكك حركة الاضراب الراهنة







عمليات عسكرية واسعة للجبهة الشعبية الديمقراطية



مخفر وبيوت تل النحاس في جنوب لبنان تذهب طعما لنيران العدو ..

عن مؤتمر القمة .. ايضاً !

بعد فشل مؤتمر القمة الخامس ، تصل الدورة التي سارت فيها السياسة العربية منذ هزيمة حزيران الى تمامها ، فقد استنفدت نسبيا كافة الادوات التي اتكأت اليها هذه السياسة، كما أن أغلب المواقف التي وقفتها والتي كانت تتصعد وتنمو في ازدواجية دائمة وصلت الى طريق مسدود . فمن المؤتمر الرابع ، الى المؤتمر الاسلامي الى المؤتمر الخامس . ومن مواجهة اميركا على طريقة مصارعي الثيران، الى اعتبارها اس البلايا والشرور . ومن الحل السلمي الى الحل العسكري الى حرب الاستنزاف . ومن رفض المفاوضة المباشرة ، الى القبول بصيغة رودوس . ومن وحدة الصف العربي ، وشعار من كل على قدر طاقته وحسب طبيعة نظامه ، الى تفكك هذا الصف، الى استعادته تماسكا شاحبا ، سحبت خلاله اسباب الشقاق الى حين . ومن حسم المشاكل بين البلدان العربية بصيغة لفظية ، الى الاعتراف بوجودها شرط أن لا تتجاوز المنطقة التي تنشب فيها . صورة سريعة لحركة السياسة العربية منذ عامين ، وهي صورة مكونة من مجموع تحركات الصف المتقدم.

والملاحظ أن هذه السياسة تضحي أكثر فأكثر سياسة « باطنية » تحتاج دوما الى تأويل وتفسير كلما تباعدت الشقة بين الظاهر والباطن . ولا يعود هذا فقط الى ما يفرضه الاستهلاك المحلي من « لفظيات » لا بد منها، لتمرير أي موقف أو رأي ، ولكنه يعود أيضا الى أن هذه السياسة مربوطة بتحرك العدو . فحينما يكون العدو صلبا ووقفة الولايات المتحدة حازمة معه ، يكون من الضرورة أن نكون « صلابا » وأن نقارع الولايات المتحدة — على المنابر على الاقل — بأكثر من الدوران حول الثور المخيف . وحينما نحس بوادر ليونة من هذه الجهة أو تلك ، يكون لزاما علينا أن نخفف من غلوائنا ، ونلوح بالنوايا الطيبة ، ورغبتنا الحارة بفض المشكل بأي شكل كان شرط أن يحفظ لنا بقية من ماء الوجه .

وهكذا ، عندما لم يقبل العدو الاسرائيلي بالحل السلمي الا بخسائر كبيرة لو تمت لجعلت كثيرا من الرحمات تنهال على قبر عبد الله ونوري السعيد . وحينما لم يستطع احد أن يحدث الوقيعة بين الولايات المتحدة واسرائيل، كان لا بد من استبعاد الحل السلمي ، كما أن الحديث عن معركة حاسمة لم يكن ممكنا . وهكذا تمطى الحل العسكري ليصبح حرب استنزاف طويلة المدى ، تسمح لكل الدويلات العربية أن تبذل فيها بعض طاقتها بشكل لا يؤدي الى ارهاقها وتضييق انفاسها .

على هذه الصورة دخل مؤتمر القمة الخامس . كما أن هذا الخط هو الذي حكم وجوده . اذ لم يكن مطلوبا منه سوى أن يزيد في الدعم الذي تحظى به دول المواجهة المتقدمة ، من الانظمة القبلية الاوتوقراطية التي تحيا في أمن وسكينة ، والتي لم تحدث الحرب أثرا حاسما على أوضاعها . غير أن تبدلات ما كانت قد طرأت خلال العامين اللذين أعقبا الهزيمة . فقد بدأت رياح التغيير تتخطى دول المواجهة وتتسلل الى داخل الدول المطمئنة القابعة في الصحراء . كما أن دولة أخرى آمنة من دول المواجهة نفسها ، فرض عليها أن تخرج من أمنها وسكينتها وتدخل عالم الحرب المظلم . هذه التبديلات كانت تحرض دول المواجهة المتقدمة على أن تطالب الدول الصحراوية والبعيدة ، بمزيد من الاشتراك الفاعل في الحرب . أو أنها كانت تلوح بهذا المطلب المنطقي ، كعنصر ضغط للحصول على المزيد من المكاسب والمساعدات . غير أن دول الصحراء التي دفعت منذ هزيمة حزيران ثمن خروجها النهائي من الحرب ، لم يكن من الممكن أن ترضخ لهذا المطلب ، مهما كانت صياغته موضوعة في خطة دقيقة منظمة .

لهذا لم يكن فشل المؤتمر مفاجئا ، الا بالنظر لفيض الشعارات الذي اهدره مصمموه، والذي لم يكن سوى تغطية مناسبة لطبيعة قيامه.

لم يكن فشل المؤتمر محتما فقط ، بل كان عجزه ولا جدواه واضحين من البداية . فقد كان من المستحيل أن تزج في حرب معادية للامبريالية دولا لا تشتري السلاح الا لتقوية ميزان المدفوعات البريطاني او للحفاظ على المجتمعات القبلية . كما أن موقف الجزائر من هذه الناحية لا يشكل استثناء ، فقد كان من الطبيعي أن ينأى النظام الجزائري بنفسه عن حرب باهظة الاكلاف ، ما دامت هذه الحرب لا تواجهه مباشرة ولا تشكل عنصر ضغط يومي عليه ، وعلى هذا يمكنه خوضها من الراديو ومن على المنابر . المهم في الامر أن حدود هذا المؤتمر كانت واضحة منذ البداية (ادفع واقبض كما عبر وفد اليمن الشمالي) . ومن هذه الجهة كانت الانظمة القبلية منسجمة مع نفسها ، فهي تدفع بعض الزيادة مقابل الخروج من الجو الذي يزداد غليانه بشكل دائم . والغريب في الامر هو الغضب الذي انخرطت فيه دول متقدمة ، فهذا الغضب لم يكن في واقعه صحوا على تخاذل الرجعية وخيانتها . واذا نظرنا الى ابعد من أنوفنا ، وجدنا أنه كان مصمما لانقاذ المؤتمر من النتيجة التي كانت ستلطخ المتقدمين والرجعيين على السواء والقاء تبعة ذلك على الرجعيين الذين قابلوا كل هذا بأفواه مفتوحة . ويمكننا أن ندخل في عملية الانقاذ هذه جو الحماس المشتعل في ليبيا ، والذي اعادنا الى جو الخمسينات . لقد حصلت الدول — دول متقدمة — على بعض الزيادات المطلوبة ، وهنا تنتهي غاية المؤتمر الحقيقية . غير أنه تحاشيا للصدمة التي لا بد سيحدثها في الرأي العام تضاؤل المؤتمر حتى هذه الغاية ، والذي ستتضاءل معه كل عناصر اللغط المنبري للسياسة العربية المتقدمة ، تحاشيا لهذا كان لا بد من تفجير المؤتمر بصورة تدوخ الرأي العام بينما كانت الصفقة الحقيقية تتم تحت غبار الانفجار الكثيف . وبشكل بضع تبريرات لتأجيل المعركة الحاسمة المنتظرة التي وعد بها في مطلع المؤتمر .

غير انه اذا وصلت الدورة التي قطعتها السياسة العربية المتقدمة الى تمامها ، فهذا لا يعني التوقف والجمود . بل يعني أنها ستعيد من جديد هذه الدورة ، ربما مع عناصر جديدة ، تستعيدها من السنوات الغوالي المنقضية ، سنوات النصر والصمود !.

الاشتراكات : □ الاشتراك السنوي ٢٥ ل.ل ● **في البلاد العربية :** □ ج. ع. م. — الاردن — سوريا — العراق ٣٥ ل.ل ● **في الخارج :** □ أميركا الجنوبية — استراليا ٩٠ ل.ل

● **في لبنان** □ المؤسسات والدوائر الرسمية ٥٠ ل.ل □ اليمن — السعودية — ليبيا — تونس — الجزائر — المغرب — ج.ي.ج.ش □ الولايات المتحدة — دول أفريقيا — الهند. ٧٥ ل.ل

□ للطلاب والعمال ١٥ ل.ل الكويت — الخليج العربي — السودان .... ٥٠ ل.ل □ الاتحاد السوفياتي — ايران ودول اوروبا — باكستان ٥٠ ل.ل

● قيمة الاشتراك تدفع مقدما بشيك أو بحوالة مصرفية باسم مجلة « الحرية » — بيروت ●

ثمن النسخة : ● ج.ي.ج.ش ٧٥ فلسا الكويت ٦٠ فلسا العراق ٥٠ فلسا سوريا ٣٥ ق. س ج.ع.م. ٦٠ مليما الاردن ٤٠ فلسا ليبيا ٦٠ مليما السودان ٦٠ مليما ..... ●

الاسبوع في سطور

عمليات عسكرية واسعة للجبهة الشعبية الديمقراطية

اصدرت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين خلال الاسبوع الماضي بيانات عسكرية تغطي الفترة من ٩-١-٧٠ لغاية ١٥ منه .

ومن ابرز العمليات التي قامت بها الجبهة ، العملية العسكرية في الجولان المحتلة التي حصلت الجبهة بنتيجتها على شبكة الغام كاملة عرضنها في مؤتمر صحفي في عمان .

وفيما يلي البيانات :

بيان عمليات رقم ٢١٤

١ – قامت مجموعة الهاون بقصف مركز على مجمع آليات العدو بمستعمرة الزراعة في الغور الشمالي الساعة السابعة من مساء الجمعة الموافق ٩–١–١٩٧٠ ، ونتج عن ذلك :

١ – تدمير عدد من آليات العدو ، شوهدت والنار تشتعل بها .

٢ – قتل وجرح عدد من أفراد العدو ، حيث شوهدت سيارات الاسعاف تهرع الى المنطقة لانقاذ المصابين .

هذا وقد عاد ثوارنا الى قواعدهم سالمين .

٢ – في تمام الساعة السابعة من مساء يوم ٩–١–١٩٧٠ ، قامت احدى مجموعاتنا المقاتلة بقصف مركز على مستعمرة ماعوز حاييم ، وقد أصابت الرماية أهدافها اصابة مباشرة . هذا وقد اطفأت الانوار في المستعمرة وشوهدت النيران مشتعلة في داخلها ، وهرعت اليها سيارات الاسعاف . وعاد مقاتلونا بسلام .

بيان عمليات رقم ٢١٥

بناء على الاوامر الصادرة الى مجموعاتنا المقاتلة في الجولان بمهاجمة منطقتي « المدادية » و « بئر عجم » تحركت في تمام الساعة التاسعة مساء من ليلة ١٢–١–٧٠ مجموعتين منقواتنا الموجودة في المنطقة ترافقها مجموعات الهندسة التابعة للجبهة .. بقصد فتح الطريق وتمهيدها امام القوات المذكورة للعبور الى المنطقتين المذكورتين .. وبالفعل فقد تمكنت مجموعات الهندسة من فتح الثغرات المطلوبة في شبكة الالغام الموجودة حول مواقع العدو المراد تدميرها والمرصودة بدقة من قبل مجموعات الاستطلاع التابعة لنا ممكنة مجموعات الاقتحام من العبور الى اهدافها مفاجئة العدو ومفوتة عليه فرصة الدفاع عن تلك المواقع ، حيث تمكنت قوة الاقتحام من الاجهاز على قوات العدو الموجودة في الموقعين ويقدر عددهم بعشرة افراد في كل موقع .. في حين تمكنت مجموعات الهندسةمن حمل شبكة الالغام التي أبطلت مفعولها .. والعودة بها الى قواعدنا سالمة .. هذا وقد عادت قواتنا الى قواعدها .. بعد اتمام مهمتها بنجاح حاملة معها اثنين من رفاقنا الابطال اصيبا بجراح خفيفة . وستعقد الجبهة مؤتمرا صحفيا تعرض فيه شبكة الالغام التي احضرها مقاتلونا

بيان عمليات رقم ٢١٦

أولا : قامت احدى مجموعاتنا المقاتلة في الساعة الثامنة والنصف من صباح ١٢–١–٧٠ بنصب كمين لدورية هندسة للعدو مكونة من ستة افراد مع سيارة ناقلة للجنود في منطقة جنوب ام سدرة وقد فاجأها ثوارنا بالاسلحة الرشاشة مما أدى الى قتل ثلاثة افراد من دورية العدو وجرح الباقي .. حيث شوهد العدو وهو يخلي جرحاه من المنطقة .. هذا قد انسحبت مجموعاتنا الى قواعدها سالمة .

ثانيا : حوالي الساعة التاسعة من صباح يوم ١٢–١–٧٠ قام احد رجالنا القناصة باطلاق النار على احد جنود العدو في مراقبة ام سدرة فأرداه قتيلا .

ثالثا : قامت احدى وحدات القناصة التابعة للجبهة في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ١٤–١–٧٠ بقنص ثلاثة من جنود العدو في منطقة رويشة الحمراء قرب جبانة الخشب بالجولان ، وعلى اثر ذلك قام العدو بقصف المنطقة بالهاون والرشاشات الثقيلة ، ولكن مجموعاتنا استطاعت الانسحاب بسلام ..

بيان عمليات رقم ٢١٧

ردا على الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان قامت قوات الجبهة الشعبية الديمقراطية بالعمليات التالية :

١ – قامت احدى مجموعاتنا المقاتلة في تمام الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم ١٤–١–١٩٧٠ بقصف شديد ومركز بالصواريخ على مستعمرة ازراعيت في الجليل الاعلى ، مما أدى الى وقوع اصابات مباشرة وخسائر كبيرة في صفوف العدو تقدر بما يلي :

١ – اشعال النيران في مجمع الاليات العدو في المستعمرة وتدمير عدد من آلياته .

٢ – تدمير عدد كبير من منشآت المستعمرة .

٣ – قتل وجرح عدد من أفراد العدو .

٢ – وفي تمام الساعة الثانية والنصف من صباح ١٥–١–١٩٧٠ ، قامت مجموعة أخرى من قواتنا بقصف شديد ومركز بالصواريخ على نفس المستعمرة ازراعيت في الجليل الاعلى وعلى مزارع لتربية الدواجن في المستعمرة مما ادى الى :

١ – اشعال النيران في مزارع لتربية الدواجن والحاق اضرار جسيمة فيها .

٢ – تدمير عدد اخر من منازل المستعمرة .

٣ – قتل وجرح عدد من جنود العدو .

هذا وقد عادت مجموعاتنا الى قواعدها سالمة .

محاولات سعودية جديدة ضد اليمن

اعتبر البيان « المفاجيء » الذي أذاعته وزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية حول « عدوان » مزعوم على اراضيها من جانب اليمن الشمالية ، اشارة الى مخططات مبيتة تستهدف توسيع رقعة العدوان السعودي من الجنوب اليمني الى شماله .

وقد ادعى البيان « أن ثلاثة طائرات من طراز ميغ تابعة لليمن الشمالي قامت بالاعتداء على مركز سلاح الحدود في « نهوقة » في نجران ولم يصب احد بأذى وردت المدفعية السعودية الطائرات المغيرة على اعقابها » . وانتهى البيان الى القول : « لقد صدرت الاوامر للقوات المسلحة برد أي اعتداء بعد الان على اراضي المملكة وتلقين الذين لا يقدرون ما يقومون به من أعمال استفزازية درسا لن ينسوه ابدا » . وواضح من هذا النص الوارد في البيان أن السعودية تمهد بالحديث عن « عدوان » وقع وعن « اعتداءات » يمكن أن تقع على اراضيها ، تمهد لاعمال عسكرية ضد الجمهورية العربية اليمنية توسيعا لمخططها العدواني ضد الجنوب بحيث يشمل اليمن كلها .

لقد افتعل الحكم السعودي منذ مدة قصة « مخفر الوديعة » على حدوده مع اليمن الجنوبية كي يبرر قيامه بعمليات عسكرية واسعة كان واضحا أنها جزء من خطة سياسية تستهدف ضرب الاوضاع القائمة في الجنوب . ولم تكن المسألة بالطبع مسألة مخفر يقوم حوله خلاف جغرافي ، بل كان الحكم السعودي يتحرك في الاساس ضد التطورات الايجابية في الجنوب سواء ما كان منها باتجاه تعزيز الدعم للكفاح المسلح في ظفار ، أو باتجاه اجراءات تقدمية في الداخل ومواقف سياسية وطنية على صعيد الخارج . وهكذا كانت الحملة السعودية جزءا من مخططات التطويق الامبريالية والرجعية التي تستهدف تصفية الوضع الوطني في الجنوب وضرب التحولات التقدمية الجارية فيه .


الملك فيصل

ويبدو أن خطط السعودية لم تعد محصورة بالتآمر على جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، بل هي تمتد الان لتشمل اليمن الشمالية أيضا تحت ستار الحديث هذه المرة أيضا عن مخفر يتعرض لاعتداء ! وهذا التحرك ضد الجمهورية العربية اليمنية يعكس كما يبدو نية الحكم السعودي في الهاب « القضية اليمنية » من جديد في محاولة للضغط على صنعاء ، باتجاه تسجيل تنازلات كاملة لصالح موقف حكام الرياض من القضية . ذلك أن النظام السعودي لم يكتف بكل الخطوات التي اتخذت في اليمن الشمالية باتجاه التسوية مع الملكيين ، معتبرا اياها دون مستوى ما يطالب به من تنازلات كاملة . والتنازلات الكاملة المطلوبة هنا ليس لها معنى في الحقيقة سوى تصفية النظام الجمهوري تصفية نهائية وضرب كل القوى الوطنية والتقدمية وفتح البلاد أمام تسلط النفوذ السعودي والقوى الامبريالية التي يتحالف معها .

ان اتساع مخطط التآمر الرجعي في الجزيرة العربية بات يفرض تنسيقا بين القوى الوطنية والتقدمية بأشكال اعلى وأكثر قدرة على مجابهة الهجمة الرجعية . وان علاقة المساندة والتأييد القائمة بين الحكم في الجنوب وبين الكفاح المسلح الذي تشنه الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي ، ان ذلك يشكل خطوة هامة على هذا الطريق . وهي خطوة لا بد أن تتكامل بلقاء جدي بين الجنوب وبين القوى الثورية في شمال اليمن في نطاق تعزيز الجبهة المضادة للمعسكر الرجعي والامبريالي في المنطقة .

استمرار اضراب المعلمين في المدارس الرسمية

تابع معلمو المدارس الرسمية اضرابهم بعد الموقف الذي اتخذه المجلس النيابي حيال مشروع قانون زيادة الرواتب . وقد اصدروا ، مساء الجمعة الماضي ، بيانا أوليا بموقفهم جاء فيه :

« اجتمع ممثلو المحافظات الخمس للمدارس الرسمية ، الابتدائية والمتوسطة ، وأصدروا البيان الاتي :

ان الطريقة التي مارسها المجلس النيابي في النظر الى الباب الثاني من مشروع زيادة رواتب المعلمين والموظفين انتهت الى نسف المادة ٣٥ من المشروع المتعلقة بالمفعول الرجعي للقانون ، مع العلم أن المسؤولين كانوا ، على مختلف مراتبهم ، مطلعين على أن استمرارنا في الاضراب رهن باقرار تلك المادة . وقد انبرت اجهزة الاعلام لايهام الرأي العام بأن المشروع اقر بكامله وبأن المعلمين نالوا كل مطالبهم . لذلك يؤكد المعلمون استمرارهم في الاضراب ويعلنون انهم سيذيعون بيانا مفصلا يصدر عنهم » .

الحرية
صاحب الامتياز محسن ابراهيم — المدير المسؤول حسن فخر — مدير الادارة ياسر نعمه
مكاتب الادارة والتحرير : شارع المحمصاني ، متفرع من شارعي بشارة الخوري وعمر بن الخطاب
منطقة المصيطبة – محلة رأس النبع – بناية فؤاد درويش
هاتف : ٢٤٧٥٥٢ – ص. ب. ٨٥٧ بيروت – لبنان

نحو عدوان جديد على لبنان ؟

قالت غولدا مابر أنه « اذا كانت السلطات اللبنانية لا تؤمن فورا اطلاق حارس المطلة الاسرائيلي الذي خطف ليلة رأس السنة على الحدود اللبنانية ، فانه لن يكون أمامنا خيار اخر سوى أن نتخذ بأنفسنا الاجراءات التي تؤمن اطلاقه » .

وبهذا التصريح تمهد رئيسة وزراء اسرائيل لاعمال عدوانية جديدة على الاراضي اللبنانية ، شبيهة بموجة الاعتداءات التي مارستها قبل اسبوعين . وكانت قد سبقت تلك الموجة سلسلة تصريحات اطلقها موشي دايان مهددا لبنان بعمليات واسعة اذا ما بدأ وضع اتفاقية القاهرة موضع التنفيذ .

تطورات النضال الطلابي في الجامعة اللبنانية :

حركة تصعيد الاضراب تصطدم بالدولة وبمواقف اليسار الاصلاحي

تابع طلاب الجامعة اللبنانية ، خلال الاسبوع الماضي ، أضرابهم المعلن في ظل تجاهل كامل من الدولة للمطالب المرفوعة . وقد قابلت القوى التقدمية الطلابية هذا التجاهل بتحرك نضالي استهدف تصعيد الاضراب وزيادة فعاليته باتجاهين :



الاول – تحقيق الترابط بين اضراب كليات الجامعة اللبنانية حول المطالب الموحدة والمشتركة التي تعبر عن مجموع مصالح الطلاب والحركة الشعبية ، في تعزيز الجامعة الوطنية واحباط خطة الدولة الرامية الى اضعافها ومنعها من أن تصبح اداة لتعميم التعليم الجامعي وكسر احتكاره الطبقي .

والثاني – الانتقال الى أشكال نضالية اعلى بتنظيم تظاهرات كان اخرها ما جرى داخل كلية الحقوق يوم الجمعة الماضي حين حاول جمهور من الطلاب الخروج بمظاهرة فتصدت لهم قوى الامن وأقفلت ابواب الكلية لمنعهم من الخروج .

كما جرى اقتحام الكلية وتعرض الطلاب الى عملية قمع شديدة واعتقلت مجموعة منهم افرج عنها ليلا . وهكذا جابهت حركة الطلاب ردود الفعل ذاتها التي كانت تجابهها من جانب السلطة على الدوام .

وقد شهد الاسبوع الماضي تحركا لطلاب الحقوق في الجامعات الاربع استهدف الحيلولة دون اقرار مجلس النواب لمشروع تنظيم مهنة المحاماة الذي ترعاه نقابة المحامين والذي يؤدي ، في حال اقراره ، الى جعل مدة الدراسة في فرع الحقوق ست سنوات بدلا من أربع ، تضاف اليها سنوات التدرج الثلاث ، بحيث يصبح أمام الطالب تسع سنوات كاملة حتى يحصل على العضوية في النقابة !

وفي نطاق تحرك طلاب الحقوق في الجامعات الاربع شارك طلاب الحقوق بالجامعة اليسوعية في التظاهر خارقين بذلك التقاليد التي كانت تفرضها القوى اليمينية المسيطرة على هذه الجامعة ، والتي جعلتها تعيش لسنوات طويلة حالة من التقوقع والانعزال عن نضالات الحركة الطلابية وخصوصا التظاهرات التي كانت توصم « بالغوغائية والشارعية » !.

واذا كان تحرك طلاب اليسوعية ما يزال ضمن اطار المناشدة الخجولة للدولة ، ولو بللت بمياه رجال الاطفاء ، الا أنه يدل على نشوء تيارات مطلبية عفوية حتى في صفوف ذلك الوسط من القطاع الطلابي الذي لم يتعود على رفع صوته في وجه النظام والذي كان يخضع لسيطرة الاتجاهات المطالبة بالتهدئة دائما .

وليس في نشوء التيارات المطلبية العفوية في صفوف هذا الوسط الطلابي (اليميني) أي لغز يستعصي على التحليل ، بل هو يشكل نتيجة مباشرة لسياسة الدولة الاجتماعية والتعليمية التي أخذت تصطدم في مرحلتها الراهنة بأوساط اكثر اتساعا . ان مشروع قانون تنظيم مهنة المحاماة يمس بصورة مباشرة مصالح طلاب الحقوق ، بما فيهم طلاب الجامعة اليسوعية . ومشروع القانون المذكور يعكس جانبا من سياسة الدولة الراهنة التي أصبحت مضطرة – تحت وطأة الوضع الاقتصادي والاجتماعي – الى توسيع رقعة الفئات الاجتماعية المتناقضة معها .

فالطبقة المسيطرة لا تملك أمام الازمات التي تواجهها (ومنها ازدياد عدد المتعلمين بشكل يفيض عن حاجات نظامها) الا أن تلقي بالمزيد من الاعباء على فئات اخرى أدنى منها بدأت تشمل اقساما من الطبقة المتوسطة .

وضمن هذا الاطار ينبغي فهم الاهداف الكامنة وراء مشروع قانون تنظيم مهنة المحاماة ، وضمنه أيضا ينبغي فهم معنى اتساع التيارات المطلبية العفوية في صفوف الحركة الطلابية باتجاه زج المزيد من الطلاب في المعركة المطلبية استجابة لمصالحهم (كما هي حال طلاب الحقوق في الجامعة اليسوعية) .

ولكن نشوء واتساع هذه التيارات المطلبية العفوية بدا مستعصيا على الفهم بالنسبة للبعض فراحوا يفسرونها على أنها تعكس تحالفا بين اليمين الرجعي و « الشلل اليسارية الفوضوية » – على حد تعبير وزير الداخلية – هدفها الاطاحة برجالات « الصف الوطني » في الحكومة الحالية .

والحقيقة أنه لم يكن أمام اليسار الاصلاحي في الحركة الطلابية الا أن يقف مشدوها أمام ظاهرة التحرك ضمن أوساط من الطلاب كانت لعام مضى أشد المعارضين للتظاهر « مهما تكن اسبابه » . وفي ظل العجز عن فهم الاسباب الحقيقية لتلك الظاهرة (وهي أسباب تتصل بسياسة الدولة الاجتماعية والتعليمية الراهنة) لم يعد أمام اليسار الاصلاحي – في غمرة اندفاعه لتأييد رجال « الصف الوطني » في الحكم – الا أن يعتبر التظاهرات مؤامرة رجعية هدفها الاساءة لبعض المسؤولين ! وبذا ينتقل هذا اليسار التقليدي الى الموقع الذي لا يمكن تصور أي يسار فيه : موقع تأييد الدولة الضمني بالوقوف جديا أمام اتجاهات تصعيد الاضراب ، وبالتحالف مع أشد العناصر تخلفا في الحركة الطلابية .

ولقد كانت مواقف اليسار التقليدي المتخاذلة هذه ، اشد ضررا على الاضراب الذي أعلنه الطلبة الثانويون . فمنذ بداية الاضراب بدأت محاولات تمييعه حتى يستعاض عن الزخم المطلوب في تحركات الثانويين بسلسلة من الاعمال الاضرابية الروتينية التي تحرف الاضراب باتجاهات الركود والرتابة ، لينتهي كالعادة بوعد من وزير التربية أو رئيس الحكومة . ولعل هذا هو ما يقصده اليسار التقليدي في ظل الحكومة الحالية .

وفي ظل هذا المناخ الذي يسود الاوساط الطلابية : اتساع التيار المطلبي العفوي نحو اوساط لم تكن تشارك في المعارك السابقة ، مقابل انحسار اليسار التقليدي وحلفائه عن المعركة الراهنة ، في ظل هذا المناخ تقف القوى الطلابية الثورية موقف النضال من أجل تصعيد الحركة الاضرابية . وهو أمر يفرض ، بالاضافة الى بلورة المطالب وتطوير أشكال النضال ، التأكيد على ضرورة رفع مستوى القدرة التنظيمية للحركة الطلابية في معاركها مع الدولة عبر ايجاد اشكال تنظيمية نقابية وديمقراطية تفسح المجال أمام مشاركة طلابية أكثر شمولا .

ان أفدح خطأ يمكن أن ترتكبه أية جهة في تحليلها للاحداث الطلابية الراهنة ، هو خطأ الاعتماد على مقاييس شكلية وعلى تقسيم اعتباطي لفظي للحركة الطلابية (يمين ويسار) بصرف النظر عن المواقع الفعلية التي يحتلها هذا الفريق أو ذاك ضمن النضال المطلبي الراهن .

ان اليسار التقليدي يتجه الان بوضوح نحو مواقع يمينية تبدو طبيعتها واضحة في ممارساته حيال الاضرابات الطلابية الجارية .

وفي واقع الحركة الطلابية الان ، تبدو بوضوح أهمية ترابط النواة اليسارية الطليعية ذات المواقف الجذرية ، كما يبدو النضال من أجل نموها وتعزيزها واحدا من أبرز حاجات الوضع الطلابي الراهن .

مأتم حافل للفقيد خالد اليشرطي

فقدت الحركة الوطنية الفلسطينية وجها من وجوهها البارزة بوفاة المرحوم خالد اليشرطي في اعقاب حادث مؤلم لم يمهله اكثر من بضعة أيام ، فغاب عن أصدقائه ومقدريه في صباح يوم الجمعة الماضي .

وقد نعى الفقيد آل اليشرطي ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، وحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، ونقابة المهندسين في بيروت . وجرى للفقيد مأتم حافل بعد ظهر الجمعة الماضي شارك فيه الالاف من المشيعين يتقدمهم مئات الفدائيين وممثلو منظمة التحرير الفلسطينية وجميع المنظمات الفلسطينية الاخرى. وأصدرت « فتح » بيانا جاء فيه : « ... ان الثورة الفلسطينية فقدت بوفاته ركنا أمينا من أركانها وقائدا من قادتها ، ممن ناضلوا وسقطوا شهداء من أجل قضيتهم العادلة .. لقد انضم خالد الى حركة فتح وبدأ يعمل بصمت وسرية ناشرا الدعوة الى الثورة المسلحة من أجل تحرير فلسطين ، وكان في طليعة العاملين من أجل قضيتهم العادلة ، وأسهم في انجاح المجلس الوطني الفلسطيني الرابع وأدى واجباته الوطنية بوفاء واخلاص . وقد اختاره المجلس الوطني السادس بالاجماع ليكون رئيسا للصندوق القومي وأصبح عضوا للجنة التنفيذية في منظمة التحرير . وبدأ نشاطه من أجل تحقيق الوحدة الوطنية فكان رائدا من روادها استطاع بجهده المتواصل وبتعاونه المستمر مع الجميع أن يرقى بهذه الوحدة الوطنية الى المستوى المطلوب » .


الفقيد خالد يشرطي



على هامش "خطة" الدولة لمواجهة العدوان

تحصين الحدود وتسليح ابناء الجنوب .. بين الوعود والمواقف الفعلية

حاولت الدولة اللبنانية بعد اجتماع مجلس الوزراء يوم الاثنين الماضي الظهور بمظهر الذي أصبحت لديه « خطة » لمواجهة الخطر الاسرائيلي والاعتداءات العسكرية المتكررة البرية والجوية التي تتعرض لها القرى الامامية في منطقة الجنوب ويذهب ضحيتها الناس العزل والاطفال والنساء والشيوخ .

فقد أدلى رئيس الحكومة السيد رشيد كرامي اثر انتهاء اجتماع مجلس الوزراء برئاسة رئيس الجمهورية بتصريح الى الصحفيين ، بثته وسائل اعلام الدولة المختلفة بكثير من الضجيج والدعاية ، تحدث فيه عن اقرار « خطة » جديدة لمواجهة الخطر الذي يتعرض له الجنوب قدرت تكاليفها بحوالي ١٠٠ مليون ليرة .. وتشمل « الخطة » بناء الملاجىء وتحصين الحدود وانشاء حرس وطني وتزويد الجيش بالاسلحة وانشاء جهاز اسعاف والتوسع في منح اجازات زراعة التبغ للجنوبيين . كما أعلن رئيس الحكومة في تصريحه ان الدولة تلتزم بتنفيذ اتفاق القاهرة مع الفدائيين .

وعندما سئل رئيس الحكومة عن مصادر تمويل هذه « الخطة » ، أجاب أن وزارة المال تدرس موضوع تأمين المال ، مضيفا بانه تقرر كذلك أن يقوم هو شخصيا — أي رئيس الحكومة — ومعه وزير الخارجية نسيم مجدلاني بجولة في الدول العربية من أغراضها الحصول على القروض والمساعدات ..

حدث ذلك وسط سلسلة من الاحداث والتطورات حيث تتعرض منطقة الجنوب لهجمات برية وجوية اسرائيلية متكررة أسفرت عن العديد من الضحايا بين السكان وخطف ٢٢ مدنيا وعسكريا الى اسرائيل بالاضافة الى خسائر مادية كبيرة نتيجة نسف منازل المواطنين وتدمير ممتلكاتهم وسياراتهم .

الدولة في ميدان المواجهة رغم ارادتها

وقد أصبح واضحا الان بعد تراكم التطورات خلال العام المنصرم ، ابتداء من ردود الفعل التي نجمت عن عدم التصدي للغارة على مطار بيروت مرورا بأحداث ٢٣ نيسان وانتهاء بأحداث تشرين الدامية ، ان الدولة اللبنانية وجدت نفسها — لاسباب خارجة عن طاقتها وبالرغم من ارادتها — في ميدان المواجهة ضد العدو الاسرائيلي الطامع . وهذا





شارل حلو

الواقع الجديد الذي فرض نفسه اضطر دولة النظام ان تنظر اليه بمنظار جديد وتتخلى — في الظاهر على الارجح — عن بعض مواقفها السلبية تجاه القضية الفلسطينية وحركة مقاومة الشعب الفلسطيني المسلحة والمعركة العربية المصيرية ، دون أن تنغمس كلية بما تفرضه متطلبات مثل هذا الموقف من تبعات واعباء .

وبعبارة اخرى فان النظام اللبناني اذ يدخل في حسابه مجمل هذه التطورات الجديدة ، يحاول أن يتسلح الان بنوع من « المرونة » في موافقته القسرية واللفظية على أن يكون للبنان دور في المعركة الراهنة ضد العدو الاسرائيلي . وهو في ذات الوقت لا يتخلى عن حرصه على استغلال أية فرصة أو امكانية يمكن أن تبرز ، وسط أية تطورات محلية او دولية محتملة للانقضاض على اتفاق القاهرة والعودة الى مواقفه الاساسية في هذا المجال .

وكان واضحا أن هذا النظام الذي يعيش في دوامة الصراع الحاد والتناقضات فيما بين فصائله ، مجمع في الاساس على الوقوف في وجه حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الجماهيرية اللبنانية المساندة للعمل الفدائي والمناضلة من اجل تحقيق تغيير جذري في اسس النظام القائم . ولكن هذه الفصائل المتصارعة على السلطة والنفوذ والارباح كانت في مختلف الظروف والاحوال حريصة — كل من جهته — على محاولة استغلال كل موقف تجاه حركة المقاومة لخدمة اغراضها ومخططاتها الخاصة على صعيد السياسة اللبنانية المحلية . وفي هذا الضوء يمكن تفسير افتعال الازمات والصدامات مع الفدائيين ومع الحركات اللبنانية المساندة لهم . وكان كل فريق من فرقاء النظام الاساسيين ، وفي رأسهم

رشيد كرامي



عبد الله اليافي

التكتلات « الحلفية » و « النهجية » ، يسعى ضمن ظروفه ووفقا لمخططه للافادة من مواقف الفريق الاخر في موضوع العمل الفدائي لخدمة هدفه الرئيسي وهو الفوز بكرسي رئاسة الجمهورية خلال الانتخابات التي ستجري في الصيف المقبل ..

الثقة المفقودة بين الجماهير والدولة

ان « الخطة » الجديدة التي أعلنتها الدولة لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية في الجنوب لا تلقى أي قدر من الثقة من قبل الجماهير الشعبية ولا سيما في منطقة المواجهة مع العدو . ويكفي للتدليل على ذلك واقع كون قرى هذه المنطقة تتعرض يوميا تقريبا لهجمات وغارات جوية وبرية دون أن تواجه من قبل اجهزة الدولة المختصة بأي شكل من أشكال المقاومة والدفاع .

وفي الواقع فان منطقة الحدود مفتوحة تماما في وجه اسرائيل ، وعندما تعبر قوات العدو الحدود الى لبنان لا تصادف أية عراقيل باستثناء مقاومة فصائل الفدائيين حيث يوجدون . أما الاهالي العزل فتعتبرهم اسرائيل هدفا سهلا لتنفيذ مخططها العدواني والارهابي حيث تعمل فيهم قتلا وتنكيلا وخطفا وتهدم منازلهم وتخرب ممتلكاتهم بقصد اشاعة جو من الذعر والخوف في المنطقة يؤدي ، بالضرورة ، الى هجرة السكان الى المناطق الخلفية والمدن البعيدة . وبذلك تتحول منطقة الحدود ، عمليا ، الى أرض خلاء تكون تحت رحمة العدو يدخلها ساعة يشاء دون مقاومة .

فالدولة التي لم تر من واجبها منذ هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ القيام باي اجراء عملي من أجل تأمين ولو حد ادنى من مقتضيات الدفاع الضرورية في وجه مخططات العدو ومطامعه رغم استمرار الاعتداءات وتفاقم الخطر ، لا يمكن أن تكون الان جادة فيما تتظاهر به من رغبة في تبني « خطة » دفاعية شاملة في وجه الخطر الداهم حيث يترتب عليها أن تبدأ من الصفر .

ولم تكتف دولة النظام طوال الفترة الممتدة من هزيمة حزيران حتى الان بالامتناع عن القيام بأي استعداد دفاعي ، بل كانت دائما حربا على القوى التقدمية والوطنية المطالبة بتحصين الحدود وتدريب سكانه على المقاومة وتوزيع السلاح عليهم لهذا الغرض . ولكم عانى سكان الجنوب ومعهم الجماهير الشعبية في كل المناطق من ضروب الاعتقال والتنكيل بسبب مطالبتهم للدولة بأن تقوم بواجب الدفاع عنهم وتمكينهم ، عن طريق التدريب والتسليح ، من الاشتراك في صد الاعتداءات الاسرائيلية والدفاع عن أرضهم وقراهم .

والدولة التي تتظاهر اليوم بعزمها على تبني « خطة » دفاعية هي نفسها ، بعناصرها ومقوماتها وزعاماتها وفصائلها ، التي تركت الحدود سائبة في وجه العدو يدخلها متى شاء ويعمل بالسكان العزل قتلا وخطفا وارهابا . فكيف تستطيع الان أن تقوم بما عجزت عن القيام به طيلة السنتين الماضيتين ، أو بما لم تفكر جديا بالقيام به ؟

وهذا العجز ليس ظاهرة عرضية وانما هو حصيلة تاريخية لتكوين النظام الطبقي البورجوازي القائم منذ أن نالت استقلالها السياسي في عام ١٩٤٣ . ويبين الواقع التاريخي أن هذا النظام بمختلف فصائله ، المتصارعة فيما بينها على السلطة والمتحالفة بالضرورة من اجل الدفاع عن مصالحها الطبقية في وجه نضال الحركة الجماهيرية في سبيل التغيير الثوري ، مرتبط في الواقع وبشكل عضوي وثيق بمصالح النظام الامبريالي العالمي

وعلى رأسه الولايات المتحدة الذي يقف وراء اسرائيل ويدافع عنها بمختلف الاشكال .

موقف البورجوازية الكبيرة من المعركة مع اسرائيل

ولقد كانت البورجوازية اللبنانية الكبيرة على اختلاف انتماءاتها الطائفية ، دائما ، تعتبر نفسها ، وبالتالي تعتبر لبنان الذي تتسلط على مقدرات الحكم فيه ، خارج نطاق المعركة العربية مع دولة الاغتصاب الاسرائيلي .

وكانت دولة النظام تكتفي طوال مراحل القضية الفلسطينية بتأييدها تأييدا شكليا وذلك حرصا منها على خداع الجماهير الشعبية التي تناضل مع الجماهير الفلسطينية والعربية كلها من أجل ازالة كيان الدولة الصهيونية العنصرية من فوق الارض العربية المغتصبة .

ان أي تحليل واقعي وموضوعي « للخطة » التي أعلن عنها رئيس الحكومة لا بد أن يصل الى نتيجة واضحة وهي أن هذه الخطوة التي يتطلب تنفيذها البدء من الصفر ليست جديدة وانما هي مسرحية اخرى من مسرحيات النظام عن ادعاء تبنيه اللفظي للقضية الفلسطينية .

وتعرف الجماهير الشعبية بتجربتها الخاصة أن الوعود والعهود التي أطلقها المسؤولون منذ حرب حزيران حتى الان في مجال الاستعداد العملي لمواجهة مطامع العدو ومخططاته العدوانية ، وتحصين الحدود وتدريب سكان الجنوب على المقاومة ، والاهتمام بتحسين أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية المتردية ، لم تكن سوى « شيكات بلا رصيد » تماما مثل تلك « الشيكات » التي يتعامل بها بعض الناس وتكون سببا في دخولهم السجن اذا لم يكن لهم سند من « نافذ » أو « زعيم سياسي » في دولة النظام .

الجماهير تكشف المواقف المسرحية

وما أكثر ما واجه المسؤولون المظاهرات الشعبية والطلابية ووفود القرى الجنوبية التي كانت تطالب بتأمين الحماية لها في وجه اسرائيل ، بالتأكيد بأن الدولة ساهرة على الدفاع عن الحدود ، وأن ثمة خططا لتحصين القرى الامامية وضمان سلامتها وتمكين أهاليها



من المقاومة والصمود .

مثل هذا الكلام قاله السيد رشيد كرامي مرات عديدة عندما كان بالحكم غداة هزيمة حزيران ، كما قاله من بعده السيد عبد الله اليافي عندما تولى رئاسة الحكومة في عام ١٩٦٨ ، وهو نفس ما يعيد قوله اليوم رشيد كرامي ذاته .

وعندما هب سكان الجنوب ومعهم الجماهير الشعبية والطلابية في مختلف أنحاء لبنان للمطالبة بسياسة دفاعية جدية في وجه العدو اثر الاعتداءات الاسرائيلية الاولى في عام ١٩٦٨ على حولا ، وميس الجبل ، حاولت الدولة اجهاض هذه الحركة بوضع مشروع قانون للجندية الاجبارية اثارت حوله كثيرا من الضجة وحاولت تصويره على انه يشكل اساسا لسياسة صمود وطني .

وفي ٢ ايار ١٩٦٨ جرت مظاهرات طلابية وشعبية واسعة في مختلف المدن والمناطق اللبنانية استنكارا للعرض العسكري الاسرائيلي في مدينة القدس المحتلة ، وهو اول عرض يجري في هذه المدينة بعد الاحتلال وكان المتظاهرون يرفعون شعارات تقول : سلحونا دربونا ، ادعموا العمل الفدائي واطلقوا حريته ، سلحوا القرى الامامية



من نتائج الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان

لا حلول وسطية ولا مساومة ولا استسلام.. في ذلك اليوم وقف رئيس الحكومة عبد الله اليافي على شرفه السراي يخطب في جموع المتظاهرين مرددا كلام الدولة التقليدي عن الوقوف الى جانب فلسطين وتأمين الحماية لقرى الحدود وتأييد العمل الفدائي .

الديماغوجية سلاح النظام الرئيسي

ولكن الجماهير التي لم تعد تجوز عليها المواقف المسرحية قاطعته وطالبته بخطوات ملموسة في رأسها تحصين قرى الحدود وتسليح ابنائها وتدريبهم ووضع سياسة دفاعية شاملة .. ووسط هذه المجابهة الجماهيرية المحرجة قال رئيس الحكومة مخاطبا الجموع : سنوزع السلاح على المواطنين ... ولكن السلاح لم يوزع بالطبع ولن يوزع لان النظام لا يريد المقاومة ولا تسمح طبيعة تكوينه بسليح الشعب لرد العدوان والصمود في وجه العدو .. فالشعب المناضل والمسلح يبدو في نظر هذا النظام اشد خطرا عليه من العدو الذي يهدد البلاد بالاجتياح .

واثر اعتداء اسرائيل على احدى قرى الجنوب في أواخر عام ١٩٦٧ اقدمت الحكومة على خطوة ديماغوجية جديدة حاولت عن طريقها امتصاص موجة الغضب التي تجتاح الجماهير اللبنانية ولا سيما جماهير الجنوب فقد رصدت مبلغا لا يزيد عن المليوني ليرة قالت انها ستصرفه على انشاء الملاجىء في بعض القرى المهددة وتكوين جهاز للاسعاف ، واناطت مهمة انفاقه ببعض الدوائر الحكومية .. ولكن حتى هذا المبلغ الزهيد لم ينفق في الوجه الذي خصص له بدليل خلو معظم القرى الامامية من الملاجىء ، وما نفذ منها فقد غطيت نفقاته من تبرعات السكان أنفسهم .

وعلى ضوء هذه التجارب الملموسة في التعامل بين الدولة والجماهير الشعبية واستنادا الى طبيعة تكوين الطبقة الحاكمة فان الوعود الجديدة من جانب النظام لم تثر أي اهتمام جدي لدى الجماهير الشعبية المناضلة . فتاريخ العلاقات بين السلطة والشعب يقدم البراهين الحسية على عدم جدوى وعود المسؤولين .

ولم يحصل يوما أن حققت الدولة مطلبا شعبيا الا بصورة جزئية وتحت الضغط المباشر وذلك عن طريق الاضرابات والمظاهرات وسواها من الوسائل الضاغطة المباشرة .

خطة للاستهلاك لا للتنفيذ

وواضح لدى النظر الى « خطة » الدولة الديماغوجية أنها عاجزة ، حتى ولو سارت فعلا في طريق التنفيذ ، عن تأمين الحماية الفورية الملحة لمنطقة الجنوب . ذلك أن تنفيذ هذه « الخطة » تنفيذا كاملا يتطلب سنوات عديدة من الزمن ناهيك عن عدم توافر المال لذلك وهو ما يريد النظام أن يعوضه بارسال « وفد الاستقراض » الى بعض الدول العربية .

ان ما يعوز الدولة اللبنانية قبل كل شيء هو ارادة الصمود الفعلي ، وهو الامر الذي يستوجب تسخير كل امكانيات البلاد وطاقاتها من اجل المعركة . ومثل هذا الموقف بعيد جدا عن أذهان ارباب النظام الذين ليسوا على استعداد للتضحية باي قسط من المنافع والامتيازات ونسب الارباح التي تجنيها الطبقة الحاكمة . وعلى العكس من ذلك تماما فان نية الدولة واضحة في هذا المجال . فهي تخطط ، من أجل اتخاذ بعض الخطوات الجزئية لخداع الجماهير وامتصاص نقمتها ، لفرض سلسلة من الضرائب الجديدة غير المباشرة التي تتحمل الغرم الاكبر منها الجماهير الشعبية الكادحة وذات الدخل المحدود ، بينما يبقى الاغنياء الكبار بعيدين عن الاسهام في توفير الاموال المطلوبة لا لمعركة الصمود كما يدعون ، بل حتى لخطة الخداع والتضليل .

يتضح من كل ذلك أن دولة النظام ليست في مجال الاستعداد الحقيقي للاضطلاع بواجب الدفاع عن الوطن ضد الخطر الاسرائيلي المسنود من الامبريالية العالمية . وهذه الحكومة ، مثلها مثل سائر الحكومات المتعاقبة على مسرح الحكم ، تلجأ الى وسائل التضليل لامتصاص نقمة الجماهير المطالبة بالاشتراك الفعلي في المعركة العربية المصيرية التي هي في نفس الوقت معركة لبنان بالذات .

وعلى ذلك تبقى الطاقات الجماهيرية وعزيمة الصمود والمقاومة لديها العامل الاساسي لدعم جبهة المقاومة الجماهيرية ولا سيما في منطقة الجنوب ، بوجه اعتداءات العدو المستمرة .

ومثل هذه الجبهة لا بد لها في ظل الظروف الراهنة من أن تتطور وتتخذ أشكالا تنظيمية وتتحمل مسؤولية الدفاع المسلح والصمود الوطني . فاذا كانت الدولة غائبة فعليا عن القرى الجنوبية التي تتلقى ضربات العدو المتعاقبة فلا بد لابناء هذه المنطقة من الاضطلاع بمهمة الدفاع عن أرضهم بمختلف الوسائل .

البرنامج الاسبوعي لدار الفن والادب

الاثنين ١٩ كانون الثاني : الساعة الثامنة مساء ، محاضرة باللغة الفرنسية للاستاذة لور مغيزل :
« نساء واساطير »

الخميس ١٢ كانون الثاني : الساعة السابعة مساء فيلم من اخراج التلفزيون الفرنسي « صورة ٣ عن لبنان »
يقدمه الاستاذ بيار اندرو

النضال المطلبي للمعلمين والطلاب

بين وحدة وشمول خطة الدولة.. وجزئية وتفكك حركة الاضراب الراهنة



جوزيف ابو خاطر

حركة الاضرابات التي شملت أخيراً معلمي المدارس الابتدائية (الرسمية والخاصة) وطلاب الجامعة اللبنانية (مع استجابات متفاوتة ومتقطعة من بعض كليات الجامعات الاخرى) ثم الطلاب الثانويين ، هذه الحركة تطرح جملة دروس ونتائج ينبغي على اليسار أن يسهم في توضيحها والتوعية حولها بين جماهير المعلمين والطلبة ، سواء من أجل توفير مقومات النجاح للحركة الاضرابية الراهنة أو من أجل انضاج الظروف لحركات اضرابية لاحقة أكثر وعيا وترابطا وتنظيما وأكثر قدرة بالتالي على تسجيل نجاحات حقيقية .

لقد نشأ اضراب المعلمين حول مطلب زيادة الرواتب اساسا . وانطلق اضراب الجامعة اللبنانية من كلية التربية أولا (حول مطالب الابقاء على الكلية وزيادة عدد المنح المعطاة لطلابها) ورافقه اضراب في كلية الحقوق (حول مطلب الغاء مرسوم منع حملة المعادلات من الالتحاق بالكلية — فرع العلوم السياسية). ثم بدأت كليات الجامعة اللبنانية تدخل الاضراب تباعا لتضيف الى مطالب كلية التربية ومسألة المعادلات مطالب تتناول جوانب اخرى من أوضاع الجامعة اللبنانية . وأخيرا كان اضراب الطلاب الثانويين في ظل ارتباك شديد حول الشعارات والاهداف ، يتراوح ما بين الاضراب تأييدا للمعلمين ولطلاب الجامعة وما بين التحرك حول قضية المناهج الجديدة للبكالوريا بقسميها والتي سوف تبدأ نتائج تطبيقها بالظهور عبر الامتحانات الرسمية هذا العام .

ان هذه الاضرابات جميعا كانت تعكس ، في المطالب الجزئية والمتناثرة التي طرحتها ، تحركا أتى يمثل ردود فعل قطاع واسع من جماهير الطلبة والمعلمين على خطة الدولة في المجال الثقافي والتعليمي . وفي معرض تحليلنا لهذه الاضرابات ، واستخراج الدروس التي تطرحها ، لا بد أولا من تحديد الاطار العام للازمة التي واجهتها الحركة الاضرابية والذي تندرج ضمنه كل ظواهر ضعفها واحتمالات فشلها .

ان أول ما تنبغي الاشارة اليه في هذا المجال ، هي المفارقة الصارخة بين طابع الشمول والوحدة في خطة الدولة التعليمية والثقافية بكل مجالاتها ، وطابع الجزئية والتفكك في الحركة الاضرابية التي شملت القطاعات الاكثر صلة (من الجماهير) بتلك الخطة . ان هذه المفارقة الصارخة هي التي كانت سيفا مصلتا فوق اضراب المعلمين يهدده بالفشل ، وهي التي ما زالت تشكل حتى الان مصدر تهديد جدي لاضرابات الطلاب بالاجهاض .

خطة الدولة الثقافية والتعليمية

ان خطة الدولة التعليمية والثقافية تنطلق من المدرسة الابتدائية الى الجامعة في تسلسل مكين ، هادفة في النهاية الى تكريس سيطرة الطبقة السائدة وتعزيز ايديولوجيتها وحماية استغلالها .

ففي التعليم الرسمي ، المتوسط والابتدائي ، تترابط جملة سياسات تصب كلها في مجرى اساسي : اضعاف المدرسة الرسمية لصالح التعليم الخاص . وفي هذا المجال تبدو بوضوح الخطة الرامية الى كبح نمو عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة بشكل يجعل هناك دائما هوة واسعة بين قدرة المدارس الرسمية على الاستيعاب وبين الاعداد المتزايدة من ابناء الطبقات المتوسطة والفقيرة الذين أصبحوا في سن التعلم . كما يجعل هناك دائما مفارقة واضحة بين حجم التعليم الرسمي ومدى اتساع قطاع التعليم الخاص ، كي تبقى الغلبة لهذا القطاع ومفاتيح السيطرة بين يديه .

ان اضعاف التعليم الرسمي لصالح التعليم الخاص يؤدي في هذا المجال دورا واضحا : الحد من موجة التعليم في صفوف ابناء الطبقات المسحوقة التي تجد اقسام واسعة منها أبواب المدرسة الرسمية الابتدائية والمتوسطة موصدة أمامها . وهكذا تتجه الدولة بالرعاية نحو التعليم الخاص الذي يتشكل أساسا من قطاعين :

— قطاع ((مزدهر)) له الغلبة والسيادة وتسيطر عليه مؤسسات طائفية واجنبية دورها أن تضخ باستمرار أفكارا يعبر عليها النظام نحو تعزيز وتكريس ايديولوجية الطائفية واحكام سيطرته على مقاليد التوجيه .

— وقطاع ((متخلف)) يشكل في حقيقته مؤسسات للتجارة والتجهيل بسبب افتقاده لابسط شروط التعليم .

ان تكريس طبقية التعليم منذ المرحلة الابتدائية لا يقتصر على رعاية التعليم الخاص والحيلولة دون نمو واتساع التعليم الرسمي ، بل أن قطاع التعليم الابتدائي الرسمي القائم الان يواجه — حتى في حجمه الراهن — سياسة تستهدف ابقاءه ضمن مستويات متخلفة ماديا وفنيا استطرادا للخطة نفسها .

ان علاقة الاستغلال الصارخة بين الدولة وبين معلم المدرسة الرسمية الابتدائية والمتوسطة تندرج ضمن هذه السياسة . فمستوى رواتب المعلمين (التي قام الاضراب الاخير من أجل زيادتها) تجعل من قطاع المعلمين احد القطاعات الجماهيرية التي يتزايد عليها ثقل الاستغلال الطبقي بشكل متصاعد . ان الوضعية المادية التي يعانيها معلم المدرسة الرسمية الابتدائية والمتوسطة تسهم الى حد بعيد في اضعاف انتاجية قطاع المعلمين واستقراره . فاذا أضفنا الى ذلك سياسة الدولة في الحد من نمو اعداد الطلاب في دور المعلمين ، التي هي طريق رفع مستوى التعليم الابتدائي والمتوسط ، وسياستها في حقل التجهيزات المدرسية ، والكتاب المدرسي ، تكتمل لدينا صورة واضحة المعالم للخطة المتبعة تجاه المدرسة الرسمية الابتدائية والمتوسطة .

ان هذه الخطة التي تستهدف بوضوح ضرب التعليم الرسمي اساسا لصالح البنية الطائفية الرجعية السائدة في قطاع التعليم الخاص والاجنبي ، كما تستهدف الحد من اتساع موجة التعليم باتجاه ديمقراطي يمنح ابناء الطبقات المتوسطة والفقيرة فرصة اختراق جدار الاحتكار الثقافي الطبقي ، ان هذه الخطة تزداد كثافة ووضوحا في مواجهتها لمرحلة التعليم الثانوي .

ان الغلبة الساحقة لقطاع التعليم الخاص الثانوي على التعليم الثانوي الرسمي ، تبدو هنا باكثر الاشكال وضوحا . ان ما هو قائم من مدارس ثانوية رسمية لا يمكن أن يستوعب الا القلة الضئيلة من الطلاب الذين استطاعوا انهاء دراستهم المتوسطة ، وتبقى الثانويات الخاصة هي المنفذ الوحيد الذي لا تستطيع الفئات الكادحة من الجماهير عبوره . وبذلك يتكرس الاحتكار الثقافي الطبقي وينتصب جدارا عاليا لا يمكن اختراقه .

ويكتمل هذا الهدف (طبقية التعليم) بالمناهج التي يبدو بوضوح أنها وضعت في الاساس كي تخدم سياسة ((التسقيط)) في الامتحانات لوضع مزيد من الحواجز تمنع الجمهور الاوسع من الطلاب من قطع المرحلة الثانوية لمتابعة الدراسة الجامعية .

ان هذه المناهج التي خرجت الدولة بتعديل لها منذ عامين قد أتت تعكس بوضوح الاهداف ذاتها الكامنة وراء تقليص حجم التعليم الثانوي الرسمي .

فهي ، علاوة على كونها من حيث المضمون تشكل اداة لترسيخ ايديولوجية النظام الطبقية (بنيته الطائفية الانعزالية المتصلة بالاستعمار) ، تنطوي من حيث كثافتها والحشو الذي يسود اغلب المواد فيها على خطة مبيتة لتحويل المرحلة الثانوية (البكالوريا بقسميها) الى مجزرة حقيقية لا يمكن أن تنجو منها الا قلة ضئيلة من الطلاب . وفي هذا النطاق يبدو واضحا أن التعديل الذي ادخلته الدولة على المناهج القديمة للدراسة الثانوية ، اتى في الاتجاه المعاكس لما كان يناضل من أجله الطلاب ، بحيث زاد المناهج صعوبة وتعقيدا ليزداد معها الطالب ارتباكا وعجزا . وبذلك تستطيع الدولة تحويل المرحلة الثانوية من ممر يعبر منه الطالب نحو الدراسة الجامعية الى طريق مسدود تضطر معه غالبية الطلاب الى الانصراف عن الدراسة . وذلك كله يأتي مترافقا مع القوانين التي أصدرتها الدولة حول معادلة الشهادات الثانوية الاجنبية والتي أتت تكمل عملية سد كل المخارج من أمام الطلاب .

.. وعلى الصعيد الجامعي

ان سياسات الدولة في حقل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، تشكل تمهيدا طبيعيا لسياستها في نطاق التعليم الجامعي والتي بدأت تنتقل ، خلال السنوات الاخيرة ، الى صعيد جديد أتى يعكس طبيعة المرحلة التي دخلتها الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

ان الاصل في سياسة الدولة تجاه التعليم الجامعي كان وما يزال ، ابقاء مقاليده في ايدي الجامعات الاجنبية التي تشرف عليها مؤسسات وبعثات تلعب دور القواعد الحارسة للاستعمار الثقافي وتمنع ، بالاحتكار الطبقي ، تعميم الدراسة الجامعية على أوساط جماهيرية واسعة . وحين أنشئت الجامعة اللبنانية كان واضحا أن خطة الدولة هنا ترمي الى منعها من أن تشكل مؤسسة قادرة على النهوض في وجه السيطرة الثقافية الاجنبية على القطاع الجامعي وضرب الاحتكار الطبقي للتعليم العالي . ومن هنا كان هزال الجامعة اللبنانية وتقليصها الى بضع كليات نظرية محدودة الطاقة وضئيلة المقدرة على الاستيعاب .

لقد أتى انشاء الجامعة اللبنانية ليسد ، على امتداد الخمسينات وبداية الستينات ، جزءا من حاجة النظام الى افواج من الموظفين في الدولة وقطاع الخدمات اثناء فترة ازدهاره ونموه . ولكن نشوء الجامعة اللبنانية (ورغم هزالها) كان يدخل الى خطة الدولة التعليمية والثقافية تناقضات بدأت تتزايد وضوحا خلال السنوات الاخيرة .

لقد فتحت الجامعة اللبنانية ابواب التعليم العالي أمام أوساط كان الاحتكار الطبقي للدراسة الجامعية يسد من أمامها كل الفرص في السابق . وتحت تأثير النضالات الطلابية المتعاقبة كانت الدولة مضطرة الى التسليم ببعض المطالب الجزئية باتجاه ((تعزيز الجامعة وتطويرها)) .. وبالمقابل بدأ الخلل الاقتصادي المتزايد داخل النظام خلال السنوات الاخيرة يطرح في وجهه معضلات أساسية ، من بينها قصوره عن استيعاب الافواج الجديدة من خريجي الدراسة الجامعية . وهي معضلة لا يملك النظام لها ((حلا)) الا على حساب الطبقات المتوسطة والفقيرة . وهكذا بدأت تشتد سياسته الرامية الى الحد من اتساع موجة التعليم الجامعي عبر خطوات تستهدف ضرب الجامعة اللبنانية وتعطيل احتمالات نموها ، بل وتقليص حجمها الراهن .

ومن هنا كانت تلك السلسلة المترابطة من الاجراءات التي بدأت تتخذها الدولة ابتداء بمنع حملة المعادلات من دخول كلية الحقوق (فرع العلوم السياسية) مرورا بمشروع قانون تنظيم مهنة المحاماة انتهاء بمحاولة الغاء كلية التربية التي أتت تفضح خطة الدولة تجاه التعليم الثانوي الرسمي : أي تقليصه والحد من نموه لحساب تجارة التعليم الخاص .

هكذا تترابط سياسة الدولة التعليمية والثقافية وتتناسق من المدرسة الابتدائية الى التعليم الثانوي الى الجامعة لتصب كلها عند اهداف واحدة :

— ضرب التعليم الرسمي في كافة مراحله لصالح قطاع التعليم الخاص والاجنبي (الابتدائي والثانوي والجامعي) في نطاق تعزيز ايديولوجية النظام الطائفية وارتباطه بالامبريالية .

— تكريس طبقية التعليم في لبنان ومنع ابناء الطبقات المتوسطة والفقيرة من اختراق جدار الاحتكار الثقافي الطبقي .

الجزئية والتفكك مقابل الشمول والوحدة

هذا الشمول والترابط في خطة الدولة التعليمية والثقافية ماذا يقابلهما على صعيد النضال المطلبي نحو فرض «ديمقراطية التعليم» في لبنان ؟

ان حركة الاضرابات الاخيرة التي شملت جمهورا واسعا من الطلاب والمعلمين ، اتت محكومة بطابع العفوية والجزئية والتفكك مما جعلها قاصرة عن أن تشكل نضالا مطلبيا قادرا على الارتفاع الى مستوى تحدي خطة الدولة بشمولها ووحدتها .

لقد دار اضراب المعلمين الرسميين ، في المدارس الابتدائية والمتوسطة ، حول شعار وحيد هو زيادة الرواتب . ورغم أن مطلب زيادة الرواتب يمس علاقة الاستغلال الطبقي التي تمارسها الدولة على المعلم ويتصل بمجمل النضال من أجل ديمقراطية التعليم ، الا أن حصر نضال المعلمين بهذا المطلب ، دون ربطه بسلسلة المطالب الاخرى التي تتناول أوضاع التعليم الرسمي بمجملها ، أتى يجهض فرصة هامة لقيام نضال مطلبي مضاد لمجمل خطة الدولة التعليمية على رقعة اكثر اتساعا . وهي رقعة كانت جديرة بأن تربط نضال المعلمين بأوساط شعبية واسعة من الطبقات المتوسطة والفقيرة استطاعت الدولة تضليلها وتأليبها على المعلمين في اضرابهم الاخير .

أما اضراب طلاب الجامعة اللبنانية فقد انطلق منذ البداية جزئيا ومفككا وشديد الارتباك على صعيد تحديد المطالب . كانت البداية في كلية التربية ردا على محاولة الدولة انقاص عدد المنح فيها وتشتيتها تمهيدا لالغائها . ومع اضراب كلية التربية انطلق اضراب حملة المعادلات في فرع العلوم السياسية من كلية الحقوق . أما بقية الكليات فقد دخلت الاضراب على مراحل وبأشكال متقطعة وتأييدا لطلاب كلية التربية وحملة المعادلات في الاساس . ورغم مضي فترة طويلة على الاضراب في كل اقسام الجامعة اللبنانية فانه حتى الآن لم يترابط أو يتمحور حول مطالب متماسكة تطرح قضية الجامعة الوطنية من أساسها . ورغم نضال القوى اليسارية الجذرية في الجامعة لاكساب الاضراب طبيعة تتصدى لمجمل خطة الدولة الرامية الى ضرب التعليم الجامعي الوطني ، فان المواقع التي يحتلها اليمين الطلابي والمواقف الديماغوجية التي يمارسها اليسار الاصلاحي قد لعبت دورها في تمييع الاضراب وتفكيك مطالبه وقواه وزرع العقبات في وجه تصعيده .

أما اضراب الطلاب الثانويين فقد كانت بدايته هذه المرة أشد تفككا وأكثر ارتباكا منها في أي وقت مضى . فالثانويات اضربت بالتقسيط ، الواحدة بعد الاخرى ، وكانت فوضى المطالب هي ابرز ما ميز اضرابها .

ورغم ان اضرابات المعلمين والطلاب الجامعيين والثانويين قد تجاورت زمنيا ، ورغم أن المطالب التي رفعتها كانت تتصل بقضية هي شاملة وواحدة في جوهرها ، فان كل اضراب منها ظل يدور مع ذلك في جزيرة منعزلة عن الاضرابات الاخرى ولم يتحقق بينها أي شكل من أشكال التنسيق الفعلي .

دروس ونتائج

ان هذه الظواهر التي طبعت الحركة الاضرابية الاخيرة بطابعها ، تكشف عمق الازمة التي واجهها ويواجهها النضال المطلبي لجماهير المعلمين والطلاب في تصديه لخطة الدولة التعليمية والثقافية .

فما هي الدروس والنتائج التي يجب أن يستخرجها اليسار الثوري من تلك الظواهر ، وما هي المهمات التي تطرحها عليه ؟

لقد ثبت بشكل واضح (وهو أمر لم يكن بحاجة الى اثبات) أن حركة جماهير المعلمين والطلاب لا يمكن أن تفرز بشكل عفوي وعيا شاملا ومترابطا لابعاد خطة الدولة التعليمية والثقافية ، الواحدة رغم تعدد مظاهرها : من المدرسة الابتدائية الى الجامعة . ومن هنا كانت حركة المعلمين والطلاب ، بقطاعاتهم المختلفة ، عاجزة عن الانتظام في نضال موحد يستظل ببرنامج شامل يجسد ، مقابل ترابط خطة الدولة ، ترابطا بين المطالب المرفوعة في وجهها . وهكذا انزلقت قطاعات المعلمين والطلاب المختلفة في طريق طرح مطالب جزئية فئوية ضيقة ، تفككت معها الحركة الاضرابية وتنوعت مستوياتها وتنافرت خطاها .

ان هذه المعضلة التي واجهتها ، وسوف تواجهها دائما ، حركة النضال المطلبي لجماهير المعلمين والطلاب اذا ما ظلت اسيرة عفويتها ، تطرح على بساط البحث مسؤولية اليسار الثوري في هذا النطاق : بين ما هو مطلوب منه وما قام به فعلا . فمن الواضح أنه لا يمكن انتظار برنامج مترابط من حركة عفوية . والوعي بحقيقة الوحدة والشمول في خطة الدولة التعليمية والثقافية لا يمكن أن يتوفر للحركة العفوية الا من خارجها .

و ((الخارج)) هنا هو اليسار الذي يتوجب عليه دخول الحركة العفوية حاملا اليها تحليلا لمجمل خطة الدولة ، وتوسيعا لآفاق مطالبها وتنظيما لهذه المطالب في برنامج شامل يشكل اساسا لوحدة نضالية حقيقية بين القطاعات صاحبة المصلحة المشتركة من جماهير المعلمين والطلاب ، كما يشكل أيضا أساسا لانفتاح نضال هذه القطاعات على أوساط شعبية واسعة يمكن استقطاب تأييدها أو حتى مشاركتها .

ومن الواضح هنا أن اليسار لم يكن بمستوى الفرصة التي فتحت أمامه خلال الاسابيع الاخيرة بقيام سلسلة الاضرابات بين المعلمين والطلاب ، فلم يلعب أي دور واضح في الانطلاق منها لبلورة برنامج اشمل لحركة نضال مطلبي كان يمكن أن تتصدى لخطة الدولة التعليمية والثقافية من أساسها ، بدل أن يكون كل اضراب مهددا بالعزلة والاختناق والاحباط عند حدود مطلبه الفئوي الجزئي الضيق .

ورغم ان بطء اليسار في الاستجابة لظروف الحركة المطلبية الاخيرة قد جعل اضراب المعلمين ينتهي (أو يكاد) بعيدا عن اليسار وفي الموضع الذي ولد فيه (مطلب زيادة الرواتب) ، فان اضراب الطلاب الجامعيين والثانويين ما يزال يطرح بالحاح ضرورة وأهمية اضطلاع اليسار بدوره على صعيد بلورة أفق النضال الطلابي الراهن وشعاراته .

— فلا بد من النضال لاكساب اضراب الطلاب الثانويين ، المفكك والمرتبك حتى الان ، خط سيره الواضح من خلال ربطه بمطلب اصيل لا يبقيه مجرد صدى لاضراب المعلمين أو لحركة طلاب الجامعة اللبنانية . ان مطلب تعديل المناهج باتجاه يستهدف نسف ما أرادته الدولة حين وضعتها (منع اكثرية الطلاب من عبور المرحلة الثانوية) ان هذا المطلب هو الذي يجب أن تتمحور حوله حركة الاضراب وهو الذي يمكن أن يكسبه تماسكه واستمراره .

— ولا بد من استمرار النضال لبلورة وتصعيد اضراب الجامعة اللبنانية بالاتجاه الذي طرحته بعض القوى اليسارية ضمن الطلاب ، والذي يتجاوز جزئية اضراب كلية التربية ومطلب حملة المعادلات نحو حركة مطلبية تشمل قضايا الجامعة اللبنانية بمجملها .

وأيا كانت قدرات اليسار على تسيير دفة الحركة الاضرابية الراهنة والفعل فيها ، فان مسألة طرح برنامج شامل مضاد لخطة

البقية على الصفحة — ١٥

اضراب المعلمين ... وشروط النجاح

خلال عام واحد فتح المعلمون الرسميون ثلاثة اضرابات ، الاول والثاني انتهيا الى الفشل ولم يزل مصير الثالث الذي بدأ في ٢٦ـ١١ـ٦٩ مجهولا .

أسباب الاضراب لن تستوقفنا طويلا ، لان الوضع المعيشي العام الذي تعيشه مختلف القطاعات الشعبية العاملة يحبل بأكثر من باعث على التحرك والاضراب . ما يستوجب فعلا التوقف والمعالجة هو ظاهرة اعلان الاضرابات وانفراطها دون بلوغها لاهدافها . ما هي أسباب الفشل ؟ ما هي شروط النجاح ؟ ما علاقة القطاعات العمالية والشعبية الاخرى بمطالب المعلمين واضرابهم ؟ وما هو دور اليسار اللبناني في كل ذلك ؟ هذه هي الاسئلة التي سنحاول الاجابة عليها بايجاز من خلال الالمام الاولي بتكوين قطاع المعلمين .

البنية الداخلية لقطاع المعلمين الرسميين

ـ ان السمة العامة التي تطبع كل اجهزة الدولة البورجوازية بطابعها هي سمة التسلط والتعالي وادارة الناس بدلا عن « ادارة الاشياء » وذلك من خلال جسم وظيفي مستقل عن المواطنين ، غير خاضع في تكوينه واستمراره لمشيئتهم يمارس دوره التحكمي والقمعي بموجب ارادة الدولة وضمن تسلسل هرمي بيروقراطي . فاذا كانت السلطة العليا هي عقل الدولة وارادتها فجهاز الموظفين هو اداتها وسيفها التنفيذي المتعالي ، والمعلمون الرسميون رغم كونهم جزءا من جهاز الدولة وامتدادا لاداراتها فهم يمارسون عملا تربويا حيا مع الطلاب سمته التفاعل الانساني الطوعي بين المعلم والتلميذ . فهم بحكم هذا الموقع بعيدون عن التحكم والتسلط على الناس عبر تنفيذ ارادة الدولة ومشيئتها ، وهم لنفس السبب بعيدون عن الاوهام التي تغزو قلب الموظف البورجوازي الصغير وتتملك عقله موهمة اياه بأنه الدولة ولو من « أخمص قدميها » .. واذا كان المعلم بعيدا في مواقع عمله عن سلطة الدولة وادارتها المركزة ، فهي بالتالي بعيدة عنه ايضا مما يتيح أمامه حرية نسبية في التحرك السياسي تتجاوز ما هو متاح لاي موظف اخر . والمعلم كونه منغمسا بين ابناء جماهير المدن والارياف ، اكثر تحسسا واستجابة لقضايا العمال والفلاحين وسائر الكادحين من غيره ، فهو يعايشهم يوميا ويلامس مشاكلهم شاء أم أبى . ولكون التعليم الرسمي هامشيا بالنسبة لقطاع الخدمات فان المعلم يقف بعيدا عن الاستفادة من « ازدهار » هذا القطاع فلا يصيبه منه لا الفتات ولا « العبير » بينما يلامس هذا القطاع الى هذا الحد أو ذاك غالبية فئات الموظفين والمستخدمين الاخرين كاكراميات ورشاوى وتسهيل اعمال وغض نظر الخ ..

وتتميز بنية المعلمين بحالة من التبعثر ، اذ أن الغالبية الساحقة من المدارس الابتدائية لا يتعدى عدد معلميها العشرة . وهي موزعة في مناطق الارياف والمدن ، كما تتميز أيضا بعدم الثبات المهني بفعل متابعة اعداد كبيرة من المعلمين ـ وخصوصا الجدد منهم ـ لدراستهم الجامعية مما يدفعهم لاعتبار مهنة التعليم الابتدائي مرحلة عابرة وبائسة من حياتهم العملية .

اذن في اطار الارتفاع المتصاعد لاكلاف المعيشة وجمود الاجور وتدنيها الفعلي والموقع الهامشي بالنسبة لقطاع الخدمات الرأسمالي والابتعاد النسبي عن المراكز الفعلية للسلطة والادارة والتواجد في أدنى مستويات الهرم الاداري ، يمكننا الاحاطة ببنية المعلمين والدوافع المحركة لاضراباتهم المتتالية .

الاضرابات بين عوامل الفشل وشروط النجاح

بالرغم من انقضاء فترة طويلة على اعلان الاضراب والاستمرار فيه اكثر من شهر ونصف لم تستطع حركة المعلمين أن ترتفع من النظرة الجزئية والعفوية الى مستوى نسبي من الوعي والنظر الشمولي . فجوابا على الارتفاع المتصاعد لكلفة المعيشة وتدني الاجور رفع المعلمون مطلب زيادة الرواتب ، وجوابا على الارهاق الذي يصيبهم من جراء اكتظاظ الصفوف بالطلاب وتطلب التعليم للجهد الانساني الحي (غير الروتيني) رفضوا مطلب تخفيض عدد ساعات التدريس الخ ... فبقيت جميع مطالبهم في دائرة ردود الفعل المباشرة التي ان كانت مقبولة ومفهومة فهي ليست كافية على الاطلاق .. اذ لا يكفي مطلقا أن « تحس » فئة من الفئات الشعبية واقع الاضطهاد والاستغلال النازل بها لكي تزيل هذا الاستغلال بل ينبغي توافر شروط اخرى للتمكن من ازالته . وبالفعل لجأت السلطة الى أمضى أسلحتها في تفتيت الاضراب وتصفيته فعمدت الى عزله مصورة اياه أمام الرأي العام وكأنه موجه ضد الاهالي عبر أبنائهم التلاميذ وأنه مؤامرة على مستقبل النشء الجديد الخ .. وقد نجحت في ذلك الى حد كبير وخصوصا في الارياف !! لماذا ؟.

لان المعلمين لم يربطوا طوال الاضرابات الثلاثة مطاليبهم الخاصة بالقضايا العامة التي تهم الجماهير الشعبية وتحركها أيضا ، فطلب زيادة الرواتب اذا فهم من زاوية وطنية واجتماعية عامة هو مطلب عام وليس خاصا لان الزيادة على الرواتب سوف تحرر المعلمين من الهموم المعيشية وتمكنهم من مضاعفة الانتاج والعطاء للتلاميذ ، كما أنها سوف تحد من انتقال اعداد كبيرة منهم ممن اكتسب التجربة والمراس الى مهن اخرى سعيا وراء تحسين الدخل والرواتب . بمعنى اخر أن اي تحسين لوضع المعلم سوف ينعكس مباشرة على مستوى التعليم ويصب بالنتيجة في مصلحة التلاميذ ، ومصلحة التلاميذ هي مصلحة ذويهم من عمال وفلاحين وحرفيين ومستخدمين وموظفين .

ـ يعرف المعلمون اكثر من أية فئة اخرى بشاعة المؤامرة التي تدبر ضد النشء الطالع عند مطلع كل عام دراسي عندما تقفل ابواب المدارس بوجه التلاميذ الجدد بحجة عدم وجود الامكنة ، كما يعرفون اكثر أيضا أوضاع التعليم المزرية في المدارس الخاصة والمجانية على وجه التخصيص نتيجة تسرب بعض المحظوظين من هؤلاء التلاميذ الى المدارس الرسمية . انطلاقا من هذه المعرفة المباشرة كان الاضراب خير فرصة أمام المعلمين للاعلان عن ضرورة تعميم التعليم الرسمي ورفع مستواه عبر كشف هذه الحقائق امام الرأي العام ومطالبة الدولة بتوسيع التعليم الرسمي وتحسين وضع المعلم المادي والمعيشي (الثقافي) وكون كل طرف من هذه المعادلة يشترط الطرف الاخر ويرتهن به في النهاية .

ـ كما أن عناصر الربط بين المعلمين والاهالي ممكنة أيضا بطرح قضايا البرامج والبناء والكتاب المدرسي والشروط الصحية الخ ...

ـ ان تقوقع المعلمين ضمن شرنقة زيادة الرواتب وضيق افق مطالبهم قد حفر هوة عميقة بينهم وبين القطاعات الشعبية الاخرى استطاعت السلطة الديماغوجية ان تنفذ من خلالها لعزل الاضراب والحد من تأثيره واظهاره بمظهر الحركة المتعاكسة على طول الخط مع مطالب الجماهير وقضاياها ! فجوابا على مطالب المعلمين بزيادة الرواتب لوحت السلطة بسيف الضرائب غير المباشرة مما ألب قطاعات شعبية واسعة ضدهم ، وجوابا على اعلان الاضراب والاستمرار فيه من قبل المعلمين شهرت السلطة اصبع اتهامها في وجه المعلمين محملة اياهم مسؤولية تشريد اكثر من ثلاثمائة الف تلميذ في الشوارع .

ـ هل كانت عناصر الرد على ادعاءات السلطة متوافرة أم لا ؟ بالطبع متوافرة ، كان بامكان المعلمين منذ اللحظة الاولى لبدء اضرابهم الاعلان عن رفضهم لفرض الضرائب غير المباشرة على ذوي الدخل المحدود لتغطية زيادة رواتبهم والمطالبة بفرض ضرائب ـ اذا كان لا بد منها ـ على ذوي المداخيل الضخمة وذلك برفع نسب الضرائب التصاعدية على مداخيل الرأسماليين وأصحاب الشركات ومجالس اداراتها وفرض نسب ضريبية عالية ايضا على السلع الكمالية والفاخرة . ان تبني المعلمين لهكذا موقف ، من الاساس كان بامكانه أن يمد جسورا متينة بينهم وبين الاهالي ويوحد قضيتهم مما يشد ازرهم ويحيطهم بالتعاطف والمساندة ، ويوفر لهم فرص النجاح .

ـ كان بامكان المعلمين أيضا أن يعلنوا عن استعدادهم للتعويض عن كل ما فات التلاميذ من الدروس خلال الاضراب وذلك باطالة مدة العام الدراسي أو باعطاء ساعات اضافية مجانية زيادة على دوامهم الاعتيادي ..

ـ كان بامكانهم اضافة مطلب تعميم التعليم الرسمي ومضاعفة عدد المدارس الرسمية بتحويل رصيد المنح المخصصة للمدارس المجانية لفتح مدارس رسمية جديدة وزيادة عدد المعلمين .

ـ كان بامكانهم مطالبة وزارة التربية بانشاء مؤسسة عامة لتأليف وطبع ونشر الكتاب المدرسي على الطلاب بسعر الكلفة للحد من التجارة بالكتاب المدرسي وارهاق ابناء التلاميذ ..

ان المقصود من هذه الامثلة التأكيد على مسألة محددة وهي أن أي تحرك مطلبي مهما كان واضحا ومشروعا ، اذا لم تستطع الفئات التي تقوم به تخطي مطالبها الخاصة باتجاه ربطها بقضايا الفئات الشعبية الاخرى سرعان ما تجد نفسها كالسمكة خارج مياهها معزولة عن الجماهير الشعبية التي لها كامل المصلحة في انجاح هذا التحرك وتنفيذ هذه المطاليب .

وهذا ما حصل فعلا للمعلمين خلال اكثر من أربعين يوما من عمر الاضراب ، لم تبادر أية فئة أو جمعية أو نقابة أو هيئة اجتماعية لاعلان تفهمها وتضامنها مع اضراب المعلمين ، مما أغرق الاضراب في العزلة والكساح !.

جانب من المؤتمر الصحفي الذي عقده المعلمون في الاسبوع الماضي

المعلمون بين الاتحاد والبعثرة

شهد العام الدراسي الفائت سلسلة من اضرابات المعلمين في المدارس الخاصة والرسمية بهدف زيادة الرواتب ومطالب اخرى ، مما دفع الحكومات المتعاقبة (اليافية ، الكرامية ، ثم الكرامية) الى اعداد مشروع قانون بالزيادات تشمل المعلمين الرسميين والخاصين في نفس الحين . ولعله من المثير القول بأن ما عجز المعلمون عن تحقيقه من وحدة بين المعلمين الرسميين والخاصين كاعلان الاضراب في وقت واحد وتقديم مطالب مشتركة وتنسيق الاعمال والبيانات الخ ... حققته السلطة نفسها بجمعها مطالب الطرفين في مشروع قانون واحد . فاذا كان تفرد كل طرف باضرابه في العام الفائت مأساة قادتهما الى الفشل ، فان تفرد كل طرف في اضرابه الحالي وانعزاليته مهزلة مذهلة !.

بالرغم من كون المعلمين الرسميين والخاصين يستهدفون اقرار المشروع ذاته ، الذي مضى على وعود الدولة باقراره ومماطلتها في تنفيذه اكثر من سنة وثلاثة اشهر :

ـ فقد بدأ المعلمون الرسميون الاضراب في ٢٥ـ١١ـ٦٩ ، أما نقابة المعلمين في المدارس الخاصة فقد بدأته في ١٩ـ١٢ـ٦٩ ، أي بفارق ٢٥ يوما !!

ـ طوال شهر ونصف من اعلان الاضراب لم تتصل لجان المعلمين الرسميين ولا لمرة واحدة بنقابة معلمي المدارس الخاصة ، كما

البقية على الصفحة ـ ١٥

مقال في مجلة « تريكونتيننتال » حول :

افكار الجبهة الشعبية الديمقراطية ومواقفها الاساسية

بقلم : نايف حواتمه

هذا الحديث الذي تنشره « الحرية » ظهر على شكل مقال في العدد الرابع عشر من مجلة القارات الثلاث «تريكونتيننتال» . وهو يستهدف التعريف بالجبهة الشعبية الديمقراطية : فكرها ومواقفها الاساسية .

الجبهة الشعبية الديمقراطية منظمة ثورية تلتزم بالنظرية الماركسية اللينينية . وقد أسسها الجناح الماركسي اللينيني النامي ضمن حركة القوميين العرب ، التي كانت محور تشكيل الجبهة الشعبية في تشرين الاول ١٩٦٧ .

لقد تأسست حركة القوميين العرب عام ١٩٥٣ ـ ٥٤ ، في عدد من الاقطار العربية ، كمنظمة وطنية ضمت عناصر من البورجوازية الصغيرة . وخضعت الحركة على امتداد عقد الخمسينات لسيطرة البورجوازية اليمينية . الا أنه تحت تأثير الجناح التقدمي النامي ضمن صفوفها ، انتقلت الحركة الى موقع ايديولوجي ـ سياسي شديد الاقتراب من النظام الناصري . وقد ناضل هذا الجناح التقدمي لعزل الجناح اليميني المؤسس الذي كان يبسط هيمنته على التنظيم . وهكذا احتل الجناح التقدمي مواقع القيادة والتوجيه عام ١٩٦٦ ليدفع بالمنظمة نحو الخط الماركسي اللينيني . الا أنه تأكد لنا ، في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، أن وحدة الحركة باتت مستحيلة ، فأعلنا الانفصال عن اليمين في العاشر من شباط ١٩٦٩ بعد سلسلة من الصراعات الايديولوجية . وبعد أيام من ذلك التاريخ ، أي في الحادي والعشرين من شباط ١٩٦٩ ، أسسنا الجبهة الديمقراطية .

وقد أعلنت الجبهة الديمقراطية منذ تأسيسها ، أن أبوابها مفتوحة وأنها مستعدة لان تستقبل ضمن صفوفها كل التقدميين المؤمنين حقا بالكفاح المسلح بصفته الطريق الاساسي الوحيد لتحقيق التحرر الوطني ، والمستعدين للمشاركة في اعادة بناء منظمات اليسار ودمجها في منظمة واحدة . وكان ذلك هو ما حصل بالفعل . ففي شهر أيار (مايو) ١٩٦٩ اتخذ مؤتمران عقدتهما « عصبة اليسار الثوري » و « المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين » قرارات اجماعية بالانضمام الى الجبهة الشعبية الديمقراطية .

برنامج الجبهة

ان البرنامج الايديولوجي للجبهة يستند الى النظرية الماركسية اللينينية لانه يعتبرها النظرية الثورية الوحيدة الجديرة بتحقيق التحرر الوطني والثورة الديمقراطية في البلدان المتخلفة ، في اسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية . فتجربة حركات التحرر الوطني في البلدان المتخلفة تؤكد أن تلك النظرية هي الوحيدة القادرة على تحريك الطبقات الاجتماعية للاسهام في معركة التحرر الوطني وتحقيق الاهداف الرئيسية للثورة . وان أمثلة كوبا وفيتنام وكوريا وجمهورية الصين الشعبية تشكل ادلة دامغة تثبت ما نقول . بينما نجد أن التجارب التي استوحت الايديولوجية البورجوازية قد انتهت الى الفشل لتقع البلدان التي دارت فيها تلك التجارب في قبضة الاستعمار وحلفائه .

ولم تكن تجارب البورجوازية الصغيرة بأحسن حالا ، وقد رأينا عجزها عن متابعة النضال من اجل التحرر الوطني والاستقلال الاقتصادي والسياسي ، وعن اقامة صناعة ثقيلة وادخال المكننة الى العمل الزراعي . كما أثبتت البورجوازية الصغيرة قصورها عن مواجهة الاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، فاختارت طريق التراجع الى الخلف داعية ـ تحت وطأة الخوف والياس ـ الى عقد صفقة معه ، وذلك هو ما حصل بالضبط في العالم العربي خلال حرب حزيران ١٩٦٧ وبعدها . لقد بدت الانظمة البورجوازية الصغيرة العربية غارقة في الهزيمة واليأس من رأسها حتى القدمين ، وعاجزة عن متابعة النضال ضد المعتدي الاسرائيلي وحلفائه (الامبريالية والرجعية العربية) ، فتوجهت نحو اقامة الصلات مع قوى الثورة المضادة على حساب حركات التحرر والثورة الديمقراطية والشعب الفلسطيني نفسه .

كما أظهرت تلك الانظمة ، في الوقت نفسه ، استعدادها لقبول قرار مجلس الامن المتخذ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، في فترة كان فيها الاستعمار يجتاز اوقاتا صعبة بسبب تبعثر قواته ، في فيتنام خاصة ، بحيث كان استدراجه الى جبهة جديدة في الشرق الاوسط جديرا بانهاك قواه ودفعه نحو هزيمة محققة . ولكن الانظمة البورجوازية التي قادت حرب حزيران لم تكن قادرة ، بطبيعة خصائصها وبحكم مواقعها ومصالحها العديدة ، على متابعة حرب شعبية طويلة المدى تتيح الفرصة لتحويل هذه المنطقة الى فيتنام اخرى .

بالامكان اذن تلخيص برنامج الجبهة الايديولوجي ، المستند الى تعاليم ماركس ولينين ، على الشكل التالي: كفاح مسلح وتوجه نحو تحريك كل الطبقات الاجتماعية وخصوصا العمال والفلاحين والاجراء والفقراء واللاجئين المنتشرين في مناطق عديدة ، ففي هذه الاوساط توجد العناصر الثورية الاكثر جذرية . وبكلمة أن برنامجنا هو برنامج نضال دائم ضد الاستعمار والرجعية العالمية . كما أن الجبهة الديمقراطية تناضل من جهة اخرى في سبيل بناء حركة تقدمية واسعة بين كل المنظمات الفلسطينية وفي جميع البلاد العربية لمقاتلة الثورة المضادة المتمثلة بالرجعية العربية وبالامبريالية والصهيونية . وفي نطاق هذا الهدف كانت دعوتنا لكل من يتوفر لديهم الاستعداد لحمل السلاح والقتال من أجل الوطن ، الى الانضمام الينا .

لقد نمى تنظيم الجبهة في الاوساط التي تتميز بحسها الثوري المجرب وبموقفها الاكثر جذرية ضمن المجتمع الفلسطيني . وتحرص الجبهة أيضا على أن تستقطب مناضليها ، سواء في المدن أو الارياف ، من بين العمال والفلاحين واللاجئين دون أن تسقط من حسابها البورجوازيين الصغار التقدميين على الرغم من أن الفئات الثلاث الاولى هي التي تشكل القوة الاساسية .

مواقف اساسية

لقد كانت دولة اسرائيل ثمرة زواج الرأسمالية العالمية بالنظام الرأسمالي الصهيوني .. لقد انتهجت الرأسمالية اليهودية طريق العنصرية والرجعية وفصلت الجماهير العمالية اليهودية عن بقية عمال العالم لتجمعها ، باسم الدين والعرق ، من أجل اجتياح فلسطين وخلق دولة عنصرية توسعية على حساب الشعب الفلسطيني .

ان الجبهة الديمقراطية تطرح حلا تقدميا وديمقراطيا للمسألة الفلسطينية ـ الاسرائيلية . وهو حل يستهدف ازالة دولة اسرائيل واقامة دولة ديمقراطية شعبية فلسطينية تتشكل من العرب واليهود ويقودها العمال من كلا الطرفين في نظام اشتراكي يزيل كل اشكال الاستغلال والعنصرية . ولذلك تناضل الجبهة من أجل دولة فلسطينية اشتراكية يتوفر فيها ضمان كافة الحقوق في ظل نظام مساواة مطلقة بين جميع المواطنين بعيدا عن كل الوان الشوفينية وفي ظل سياسة اممية بروليتارية . كما تناضل الجبهة ضد الرأسمالية والامبريالية واستغلال الانسان للانسان وكل اشكال القهر ومن أجل مساواة مطلقة بين الجميع .

والجبهة تؤمن ان تحقيق التحرر الوطني هو أولا مسؤولية وواجب الشعب الفلسطيني وطلائعه الثورية . ولكننا ندرك ايضا أن نضالنا هو جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب العربية ومن الحركة الثورية العالمية . ولذلك فان مصير الشعب الفلسطيني مرتبط بمجموع ظروف المنطقة المحيطة بفلسطين بشكل خاص وببقية شعوب العالم بشكل عام . ولذلك تؤمن الجبهة بأن الطريق الوحيد لتحرير فلسطين هو طريق الحرب الشعبية ـ بمساعدة القوى العالمية المعادية للامبريالية والصهيونية ـ لان حرب التحرير القاسية والطويلة والتي تتطلب تضحيات جمة ، هي الجواب الوحيد على العدو الامبريالي وهي التي تضمن التفوق على الالة الامبريالية الصهيونية العصرية .

وان ما حدث ويحدث في فيتنام وكوبا يؤكد صحة هذه الموضوعة ، بينما نجد ان العرب ـ متسلحين بالجيوش النظامية وحدها ـ لم يستطيعوا مجابهة القوى الصهيونية المعتدية في حرب الخامس من حزيران ، وهكذا كانت الهزيمة ، وذلك يعود الى تفوق الجيش الصهيوني المدعم والمسلح من الامبريالية على الجيوش النظامية العربية الى الحد الذي لم تستطع معه هذه الجيوش الصمود في المعركة فانتهت الى هزيمة مخجلة .

ان القدرة على توسيع وتعزيز الكفاح الفلسطيني المسلح وتحويله الى حرب تحرير لفلسطين والبلاد العربية ، مرتبطة بسلسلة من التحولات الثورية داخل البلدان العربية لا بد منها لتهيئة المناخ من أجل خلق منظمات ثورية مستعدة لقبول الحرب الشعبية والاسهام فيها ، وقادرة على تنفيذ برنامج يعبىء طاقات الامة وامكاناتها ويحرك الجماهير وينظمها ويسلحها لتندفع في نضال طويل نحو : فيتنام ثانية في الشرق الاوسط .

اننا لا نقاتل من اجل القتال بصورة مجردة . أن الحرب هي امتداد للسياسة ، ولذلك فلسنا ضد الحلول السياسية . ولكننا نناهض الحلول السلمية المطروحة على حساب حق الشعب الفلسطيني الذي لا ينازع في أرضه التي تعرضت للعدوان . ان هناك محاولات تستهدف انتزاع الاعتراف باسرائيل ، ضمن حدود آمنة ، وضرب حركة التحرر الوطني في هذه المنطقة وفي العالم . وتلك هي الاهداف والعوامل الكامنة وراء العدوان الامبريالي والصهيوني في حزيران . ونحن نعتبر قرار مجلس الامن اجراء يستهدف تصفية القضية الفلسطينية ونرى فيه مكافأة للصهيونية والامبريالية والرجعية العربية . وانطلاقا من هذه الاعتبارات فان الجبهة الديمقراطية وكل القوى التقدمية والشريفة في فلسطين وفي البلاد العربية الاخرى ، ترفض هذا القرار الذي لا يشكل ـ رغم قناعه السلمي ـ سوى ثمن يتوج الهزيمة التي أصابت الانظمة العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ .

وفي تحليلنا للوضع الراهن في البلاد العربية وفي اجزاء اخرى من العالم ، نستطيع أن نلاحظ الاتجاهات المؤيدة لتسوية مهينة ـ في المنطقة العربية ـ مع الامبريالية والصهيونية ، وهو أمر يضع الكفاح الفلسطيني المسلح في موقع حرج جدا . ذلك أن تنفيذ ما يسمى « بالتسوية السلمية » يفترض أساسا ، وكجزء لا يتجزأ من المخطط ، تصفية المقاومة الفلسطينية . ومثل هذا الوضع يفرض علينا دون شك الاستعداد لتصفية الحسابات ليس مع اسرائيل فقط بل ومع بعض الانظمة العربية أيضا وفي مقدمتها النظام الرجعي في الاردن . وذلك معناه بالنتيجة أن حركة المقاومة ليس لها خيار في النضال على جبهتين : جبهة اسرائيل من ناحية ، وجبهة الانظمة العربية الساعية للتسوية السلمية مع اسرائيل من ناحية ثانية . ان الجبهة الديمقراطية ترفض بحزم كل هذه الحلول وتناهض القرار الصادر عن مجلس الامن. وسوف نتابع القتال أيا كانت النتائج ، ذلك أننا لا نستطيع التوقف في منتصف الطريق ، ونحن ندرك أن النضال سوف يكون طويلا وقاسيا .

وانطلاقا من نظريتنا الماركسية اللينينية ومواقفنا حول ضرورة وحدة النضال في وجه الثورة المضادة العالمية ، انطلاقا من ذلك كله ندرك أن معركة تحرير فلسطين تشكل جزءا من النضال التحرري لشعب اسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ومن الثورة الاشتراكية العالمية أيضا . كما نعتبر نجاح الشعب الفيتنامي البطل انتصارا لكل قوى التحرر والاشتراكية في العالم . وفي رأينا أن فشل أية حركة للتحرر الوطني سوف يصيبنا نحن أيضا ، اذ أنه يشكل انتصارا للامبريالية .

البقية على الصفحة ـ ١٥



الفلاحون في شمال فيتنام

■ اعداد : عفيف فراج ■

هذه الدراسة عن فيتنام بوجهها الاجتماعي والعسكري ، تستند الى كتاب الكاتب الماركسي الفرنسي « جيرار شاليان » الذي عاش الواقع الفيتنامي على الطبيعة ، واستشعر نبضه عن كثب . ويعتبر شاليان من أبرز المطلعين على « حروب التحرير الشعبية » وقد أمضى الصيف الماضي في صحبة المقاتلين في الاردن وعاش التجربة بعين نقدية اعطى بعدها شهادته المعروفة في « الجبهة الشعبية الديمقراطية » . والكتاب مترجم للانجليزية واسمه « الفلاحون في شمال فيتنام » .

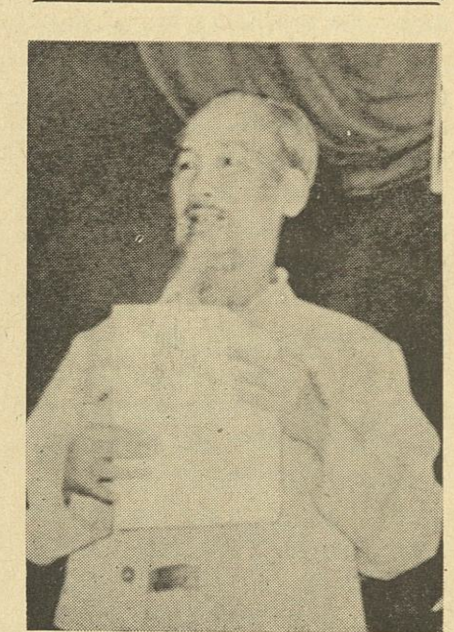
عندما نكتب عن فيتنام فاننا نكتب عن المثل الذي يحتذى والامل الذي يرتجى .. ومهما استمطرت المقاومة الفيتنامية كلامنا فسيبقى نضالها يقول ما يفيض عن ألفاظنا . ان الكتابة هي الصورة أما النضال فهو الفعل الذي يستولد الحياة جديدها وامكاناتها وثرواتها .. ورغم أن كتابتنا عن فيتنام ليست سوى الصدى لذلك النشيد الملحمي الوطني والاممي ، ورغم أن كلماتنا هي الصور للفعل الدامي ، فلا بد من أن نكتب ، لاننا لا بد أن نعطي الصورة التي يجب أن يراها شعبنا المسحوق دون أن يدري — في معظمه — لماذا سحق ولا كيف يقهر انسحاقه ..

لا بد أن تردد جنبات حروفنا صدى مقاومة الشعب الذي يفتدي عشرات الشعوب التي تنغرز في أرضها انياب الامبريالية ومخالبها. ولا بد من الوقوف أمام الشعب الذي يشكل خط الصدام الامامي مع زعيمة العالم الاستعماري : أميركا . ان الام هذا الشعب ونضاله وموقعه المتقدم الذي يفرض عليه تضحيات هائلة يقدمها على طريق النصر هو الذي دفع غيفارا الى اطلاق ندائه للشعوب « اصنعوا فيتنام ثانية وثالثة » . ولا شك أن الامبريالية الاميركية التي تخشى الشعوب المنظمة المسلحة المسيسة كانت تدرك خطر هذا النداء عندما جبنت أمام شواطىء كوريا الديمقراطية التي عاقبت قراصنة سفينتها التجسسية بويبلو ، وأحنت رأسها بعد عرض العضلات وسوق التهديدات .

اننا اذ نعيد كتابتنا عن فيتنام ، فلاننا نسمع في نشيدها النضالي الاممي صوت شعبنا المخمود في المؤتمرات والاذاعات المنافقة المضللة التي تجبن عن قول الحقيقة للشعب، لان الحق يفضحها ، ولان الحقيقة تقتلها .

ان أنقى صفحاتنا هي التي نخصصها للثورة والثوار الذين يسيرون بالتاريخ في الاتجاه الذي تحدده سواعد المنتجين المقاتلين دفاعا عن انتاجهم ومبادئهم ، وفي الافق الذي تفتحه الثورة الاشتراكية العلمية ، لا اللفظية التي تهلع وتتوقف ، ترتعد وتساوم ، تنهزم وتنافق .





هو شي مينه

الكوميون الفيتنامي

واذا كانت البنى الاقتصادية الاجتماعية والشكل الذي تتخذه تنظيميا ، هي في التحليل النهائي مفتاح النصر ، أو سبب الهزيمة ، فمن المهم أن نلقي ضوءا على الكوميون الفيتنامي بصفته العامود الفقري للتنظيم الاجتماعي في فيتنام الديمقراطية . ولان الارض الفيتنامية تحرث مرتين .. مرة بمحراث الفلاح الذي يريد أن يحيا حياته مع غيره بهدوء ، ومرة بقنابل المعتدين ، فاننا سنخص الفيتنام بحلقتين ، الاولى تتناول التنظيم الاجتماعي الذي يحيا الفلاح في اطاره ، وسنعرض في الثانية لملامح المقاومة للغارات الاميركية . وهذان المقالات يعتمدان كتاب جيرار شاليان «(١)» عن فيتنام الشمالية مصدرا رئيسيا للعرض ..

يقول شاليان في كتابه « الفلاحون في فيتنام الشمالية » أنه رأى كل مميزات الشعب الفيتنامي النشيط ، القادر ، المنظم ، مجسدة في مثل واحد علق في ساحة احدى القرى وهو « لا تقتل الوقت ، ضع حياة اكثر فيه » ..

ان هذا المثل يحضر للذهن بالمفارقة لا بالشبه المثل البورجوازي الغربي السائد في مجتمعاتنا : الوقت من ذهب . ففي هذه المقارنة يكمن التناقض بين اخلاقيتين ورؤيتين للوجود :

رؤيا بورجوازية ترى في المال قيمة مطلقة ومقياسا قيميا حاسما فتحول الوقت الى كم

١ — جيرار شاليان ، الفلاحون في شمال فيتنام ، الطبعة الانكليزية .

"الكوميون" الفيتنامي ... والديمقراطية الاشتراكية

• الكوميون حجر الزاوية في البناء الاجتماعي المتماسك
• البطاقة الحزبية ليست جواز المرور الى السلطة

مادي نادر هو الذهب ، ورؤيا اشتراكية ماركسية تعتبر الحياة السوية السعيدة هدفا فتحاول اغناءها بنفث طاقات اكثر فيها واضافة غنى تفتقر اليه بدفع الانسان لاستيلاد امكاناتها بالجهد والعمل الذي يضفي على الوجود ما ليس فيه ويمكن الانسان بواسطة هذه الاضافة من تجاوز ذاته باستمرار . ان الوقت في الفيتنام يتحول الى انتاج حياتي عقلي ومادي مشترك تفيد منه الجماعة البشرية المتواجدة على أرض جماعية بالملكية لا بالثرثرة القومية . ان كل معركة مع الاستعمار هي معركة لا تقتصر على اسبابها المادية وان كانت هذه تشكل الاساس وانما هي معركة من أجل حياة مختلفة نوعيا .

ان النظم الرأسمالية اذ تعتبر الكسب هدفا تحول الوقت الى اداة لتحقيق تراكمه . أما النظم الاشتراكية فاذ تعتبر الانسان هدفا ، فانها تحول الوقت الى امكانية غنى عقلي ومادي يفتني وجود الانسان بتحقيقها وتفجيرها . ان نفث الحياة في الوقت يعني نفث العمل الحر الممتع فيه . ونفث السعادة في الحياة .. ان الوقت هنا ليس اداة كسب ، وانما اداة سعادة .

ان الحرب الفيتنامية ومثيلاتها ستقرر لمن يكون النصر : للانسان الطامح لهندسة حياته بحرية وبشكل يتناسب مع حجمه المتنامي ، أم لقوى المال التي تحاول تقزيمه واختزاله الى مستهلك ..

لمحة تاريخية موجزة عن الكوميون الفيتنامي

يبدأ شاليان بعرض تاريخي للكوميون في فيتنام فيشير الى أن الكوميون القروي تواجد زمنيا مع تحقيق الوحدة القومية للفيتنام . وقد كان الكوميون القروي البدائي عبارة عن جماعة بشرية تسير شؤونها ذاتيا ويفصل في خلافاتها مجلس مكون من المتقدمين سنا . وثقل السنين وحده كان امتيازا في الكوميونات القديمة وهو تقليد مرتبط بالتراث التقليدي . وكانت السلطة منعزلة تماما عن فلاحي الكوميون ولكنها على اتصال مع مجلس المسنين هذا . أما دور السلطة في الحياة العامة فكان ماثلا في تنظيم هندسة الري وبناء السدود وهي الامور التي كانت تتجاوز قدرة الكوميون القديم . وقد شهدت البلاد أول غزو اجنبي لها في القرن الثالث قبل الميلاد كانت الصين مصدره . واقتطع الغزو مساحات عريضة من الاراضي اقطعت كملكية فردية لقادة الاحتلال ورؤساء القبائل الذين تحالفوا معهم . الا أن الكوميون بقي رغم ذلك البناء الاجتماعي الاساسي . ورغم دوام الاحتلال الصيني ألف عام الا أن الشعور القومي لم يخمد ، وقد كان هذا الشعور يستمد أنفاس حياته من التماسك الاجتماعي الذين يحققه النظام الكوميوني والحاجة الجماعية لري الاراضي واستصلاحها كما كانت اللغة والحضارة البرونزية تدعم الشعور القومي وتمكنه من امتصاص ما يقدمه المحتل بدل أن تفرقها حضارته وثقافته . وقد شهدت البلاد غزوها الثاني في القرن الثالث عشر ، قام به المغول ولكن المقاومة الفيتنامية سحقت هذا الغزو ، وعندما حاولت الصين الاستفادة من وضع مضطرب لاعادة احتلالها تمكن الفيتناميون من ابادة جيوشها .

لقد ازدهر الكوميون بعد هزيمة الصينيين وبعد أن أصبحت معظم الاراضي عامة ومشاعا. وقد استمرت كذلك حتى الجزء الاخير من القرن السابع عشر . وذلك لا يعني أن المجتمع الفيتنامي لم يعرف الملكية الاقطاعية . فقد بقيت الارستقراطية الزراعية الاقطاعية تشكل الدعامة الاساسية لسلطة الدولة التي كانت تتمتع « بالحق الالهي » في الحكم .

مميزات الكوميون الفيتنامي

بلغ الكوميون أوج تطوره في القرن الخامس عشر ، وكان يديره مجلس من المتقدمين سنا . وكان هذا المجلس يوزع الاراضي المستصلحة على الذين لا يملكون وينظم المقاومة ضد عناصر الطبيعة . كما كان يتولى جمع الضرائب وتطبيق العدالة . وبالرغم من تمتع الملوك « بالحق الالهي » فقد عجزوا رغم تحالفهم المزعوم مع الالهة عن الانفراد بتعيين رؤساء الكوميونات القروية . وقد استمر المسنون يديرون قراهم حتى توصلت الكوميونات الى تحقيق استقلالها التام عن السلطة المركزية .

ويشير شاليان الى أن العمل الجماعي اعطى سكان القرى شعورا بالامان ضد كل التهديدات القائمة في الطبيعة من فيضان وقحط أو غيرها من المخاطر الخارجة عن الطبيعة . فقد كان يمكن دفع التهديدات السياسية والكوارث الاقتصادية بالتعاضد والتساند والدفاع المشترك . ويشير شاليان الى أن عادة الحياة الجماعية تركت اثارها العميقة في العقل الفيتنامي . ولكن لا بد هنا من الاشارة الى ثغرة لا يمكن اغفالها في كوميونات ما قبل الشيوعية ، وهي ثغرة سياسية نتجت عنها امتيازات اقتصادية .

فقد احتفظت الكوميونات بامتياز « السن » انسجاما مع التراث الفكري التقليدي الذي كانت « الكونفوشيوسية » أثقل ما فيه بتقديسها للاجداد والمسنين . وكان هذا الامتياز يمكن المسنين من تملك قطاع من الاراضي تملكا خاصا .

وفي القرن الثامن عشر دخل الثراء كعنصر هام اخر الى جانب السن . ورغم هذه السلبيات فقد كان المثل السائد وسط هذا النسيج الاجتماعي الكوميوني المحكم « لقمة تؤكل مع الجماعة ولا وعاء مملوءا يؤكل افراديا » .

أما الطموح الفردي ضمن هذا الوجود الراقي فكان يتمثل في شوق الانسان الكوميوني لملء مركز اجتماعي قيادي له مردود معنوي لا مادي ويتمكن الفرد من موقعه فيه من خدمة الجماعة .

ان الطابع الاستقلالي التعاوني لهذه الحياة القروية هو الذي اعطى في النهاية الشخصية القومية الفيتنامية ملامحها المميزة. كما أعطاها صراعها التاريخي ضد الغزو الاجنبي الصيني ، المنغولي ، الفرنسي ، صفة التفوق العسكري . ان هؤلاء الغزاة كانوا دائما يصطدمون بمقاومة ضارية وسط محاولاتهم انتزاع الارض ونزع الطابع التعاوني المعيشي الذي يزهر فوقها ، وقد اطلق الحكم العميل في سايغون الشرارة الاولى للثورة عندما انتزع الاراضي من الفلاحين بعد أن كان الشيوعيون وحلفاؤهم قد وزعوها عليهم .

فرنسا .. والنضال الفيتنامي الوطني بقيادة الشيوعيين من أجل الارض والحرية

احتل الفرنسيون الفيتنام عام ١٨٨٤ ثم فرضوا على السلطة الفيتنامية التنازل عن قطاعات واسعة من الاراضي للمستوطنين الكولونياليين الجدد . وكان النظام الكولونيالي يستنزف الريف بلا مقابل . ولم يطل الوقت حتى تركزت الملكية في ايدي القلة ونشأت في دلتا الميكونج طبقة من كبار الملاك . الا أن السفن الغازية كانت تحمل على ظهرها الفكر الماركسي الذي بدأ البحارة الفرنسيون يطرحون بذوره في سايغون وهايفونغ كما بدأ هذا الفكر يجد طريقه للفيتنام عبر الصين . ورغم بسالة النضال ضد الفرنسيين والذي استمر على امتداد الفترة بين عام ١٨٨٤ وحتى ١٩١٣ فان هذا النضال وصل الى طريق مسدود وانطفأ في ذلك العام بعد تمشيط كامل لاخر منطقة تحصن فيها الثوار . وترجع أسباب هذه الهزيمة لانعدام الاداة الفكرية ، والخط السياسي الواضح ، القادر على استقطاب الجماهير عبر تجسيد تطلعاتها وطرح مطالبها والتعبير عن احتياجاتها .

وقد استطاع الحزب الشيوعي الذي تأسس عام ١٩٣٠ أن يسد هذه الثغرة القاتلة في النضال الوطني الذي سبق وجوده ، وذلك بطرح برنامج سياسي يحمل اشواق الفلاحين للارض . فقد طرح الحزب في برنامجه عام ١٩٣٦ وبشكل أوضح عام ١٩٣٩ مسألة اعادة توزيع الارض على الفلاحين وتجريد الكنيسة «(٢)» والملاك الكولونياليين والموالين للاستعمار من ملكيتهم. كما أقر الحزب عام ١٩٤١ بعد تحليل ملموس لواقع القوى الاجتماعية ، ضرورة التحالف بين العمال والفلاحين بصفتها المسألة الاكثر الحاحا وأهمية ويتوقف نجاح الثورة ضد الفرنسيين على تحقيقها . وقد شهد نفس العام تشكيل جبهة « الفييت مينه » الوطنية وبدء المقاومة الطويلة ضد الفرنسيين ١٩٤٦ — ١٩٥٣ والتي حسمت في ديان بيان فو .



نموذج لاحد الكوميونات

ان هذا الحصاد لنتائج هذه المعركة لم يكن ليتحقق لولا تحريك القطاع الفلاحي الهائل القدرات تحريكا نشطا . وقد استطاع الحزب احداث هذا التحرك باتباع قاعدة « الثلاثة معا » ، وهذه القواعد الثلاثة هي :

١ — العيش الى جانب الفلاحين الفقراء والسكن معهم

٢ — الاكل معهم

٣ — العمل معهم .

يشير شاليان الى منجزات الفترة اللاحقة للانتصار على الفرنسيين أنها حولت النصر في ديان بيان فو الى نصر للاصلاح الزراعي ... وهكذا استطاع الحزب الذي تأسس عام ١٩٣٠ أن يعلن قيام جمهورية فيتنام الديمقراطية عام ١٩٤٦ بعد نضال دام ستة عشر عاما ضد الفرنسيين واليابانيين الغزاة. واستطاع هذا الحزب أن يحرك الجماهير في حرب الهند الصينية ضد الفرنسيين ويحسم مسألة وجودهم في الفيتنام في فترة نضالية امتدت بين ١٩٤٦ و ١٩٥٤ وهو اليوم الطليعة المتقدمة القائدة في الصراع ضد الامبريالية في الجنوب والشمال «(٣)» .

لقد حول هذا الحزب شمال فيتنام الى كوميونة كبيرة مقامة على اسس ديمقراطية اشتراكية حديثة .

الحكومة الثورية والقرية

ان النظام الاشتراكي الجديد لم يدمر بنية القرية الاجتماعية الا بما يضمنه لها الكوميون من تماسك وتعاضد ، ولكنه طهرها من تناقضاتها البنيوية التي كان أساسها التنازلات والامتيازات الممنوحة للمسنين ومالكي الاراضي، والتي كانت مدعمة بالديانة الفونفوشيوسية ، التي لعبت دور الكاثوليكية في القرون الوسطى الاوروبية بتبنيها ورعايتها للتقسيم الاجتماعي الكلاسيكي للمجتمع . ان الكوميون هو نقطة انطلاق التعاونية الزراعية . فقد حافظت السلطة بحكمة على القرية كوحدة تعاونية منتجة لها الكلمة العليا في تقرير وتصريف شؤونها .. ويشير شاليان في كتابه الى أن أية محاولة لانشاء تعاونيات كبيرة تضم عشرات القرى كانت ستبعثر النسيج الاجتماعي الشديد التماسك الى خيوط مشتتة وتقضي بذلك على الحس الجماعي الناتج عن الانصهار التام في الكوميون القروي ويفقد الفلاحون بذلك شعور الامان الذي يخيم فوق قراهم . لقد اكتفى حزب العمال باستئصال الطفيليات من البناء الكوميوني القديم ، اذ تخلص من تسلط المسنين الذين حولوا وجاهتهم الاجتماعية الى مكاسب اقطاعية . كما صادر الحزب ممتلكات كبار الملاك وحول الاراضي العامة الى ملكية تعاونية . كل ذلك في اطار الاستقلالية الادارية للقرية الواحدة . ويشير شاليان الى أن الروح الرفاقية والوحدة الحياتية للفلاحين تستمد انفاسها من العمل الجماعي القائم فوق الارض المملوكة جماعيا ، ولا يجب أن يغيب عن الذهن أن هذا الفهم لواقع القرية ورغبات الفلاحين وتطلعاتهم ناتج الى حد بعيد عن أن الرجال الذين يشكلون العمود الفقري للحزب هم انفسهم مزارعون قرويون. أما الانسجام بين البنى الاقتصادية والثقافية للقرية فانه بارز اكثر من أي وقت مضى . ان حكومة هانوي لم تكن تتطلع ابدا لان تستخدم الكوميون التقليدي روحا وشكلا كأساس « لاشتراكية فيتنامية تنبع من الارض » على حد تعبير الهرطقة القومية عندنا . فالاشتراكية كما يؤكد شاليان هي ظاهرة عصرية تختلف عن الكوميون التقليدي روحا وشكلا . وهكذا كان لا بد من تغيير عادات العمل ومفهوم العمل بشكل جذري .

لقد كانت العلاقة بين القرية والسلطة في زمن ما قبل الثورة مقتصرة على دفع الضرائب وتجنيد الجنود عن طريق مجلس المسنين وكبار الملاكين ، دون أي التزام اقتصادي من جهة السلطة بالمقابل . لقد كانت السلطة شيئا غريبا ونائيا عن كوميون القرية . اما الان فقد شدت الحكومة الثورية اليها مجموع الكوميونات بشبكة التبادل الاقتصادي والتفاعل الثقافي الدائم . فالفلاحون يبيعون محاصيلهم للدولة ، والدولة بالمقابل تستثمر الاموال باقامة محطات ضخ المياه ومكننة الزراعة وتخصيبها . أما المزارعون فانهم يحولون النقود التي يأخذونها الى سلع يشترونها من الدولة . وعلى الرغم من أن وحدة البلاد القومية تمتد مئات السنين في عمر الزمن ، الا أن الشعور بالوحدة والتماسك لم يكن يتجاوز حدود القرية الواحدة وحقولها . وكان الشعور بالوحدة يستمد من الارض المزروعة جماعيا . وذلك يعود اصلا للافتقار الى السوق القومية الموحدة على مستوى الامة . ان هذه السوق القومية نمت بعد الاستقلال . وقد امتدت هذه السوق الى اصغر القرى وأبعدها ، هذه القرى التي أصبحت مشدودة الى بعضها والى بقية الامة بشبكة حزبية واعلامية .

وربما كان التصعيد الاميركي للعدوان عاملا مساعدا على تدعيم الاستقلال النسبي للمقاطعات والقرى والاعتماد اكثر على مبادراتها الخاصة . ان تصعيد الحرب قد اعطى الفلاحين شعورا جديدا بأنهم جزء من وحدة عضوية هي في مجموعها الامة المحاصرة. ان الشعور الوطني والاعتزاز القومي لم يكن في يوم من الايام بمثل هذه القوة .

التثوير الديمقراطي في القاعدة

في نيسان عام ١٩٦٧ حثت قيادة الحزب الاتجاه الذي يدعو الجماهير للاشتراك في ادارة التعاونيات والمصانع . وقد بدأ العمال العاديون يلعبون دورا اكبر في صياغة خطة الانتاج المحلية . أما الموظفون الرسميون فانهم مطالبون بالاهتمام الشديد بكل نقد أو اقتراح يبديه العمال . ويتم توزيع البضائع المنتجة أمام اعضاء التعاونية في اجتماع عام ويكون التوزيع منسجما مع احتياجات الفرد .

ويتم الاعلان عن وصول شحنة بضاعية مخصصة للقرية فور وصولها ، ويتم التوزيع بشكل ديمقراطي . أما حسابات التعاونية فانها تجري علنا في اجتماع عام للتعاونية ويوزع الدخل فورا دون ابطاء أو تأخير . وهذا يعني أن المزارعين يمارسون رقابة مباشرة على حسابات التعاونية وعندهم امكانية الاعتراض عليها والتدقيق فيها . وقد كان الحزب قبل التصعيد الاميركي للعدوان يرشح اعضاءه لعضوية مجالس الشعب المنتخبة في القرى . أما بعد التصعيد فقد أعطي الفلاحون والعمال الحرية المطلقة في اختيار مرشحيهم . وتبدو هذه الحقيقة ساطعة في النسبة المئوية الضئيلة التي يمثلها أعضاء الحزب في هذه المجالس بالنسبة لغير الحزبيين . اذ أنهم لا يتجاوزون الاربعين بالمائة . وهي نسبة تثبت (بالفعل لا بالقول) اشتراك الجماهير العريضة في ادارة الكوميون . ان رفع وصاية الحزب على الجماهير بشكل يسمح لها باختيار مرشحيها يبطل المفعول السحري للبطاقة الحزبية في تسلق سلم السلطة ، ويقضي بالتالي على الانتهازية والبيروقراطية . وفي هذا المجال قام الحزب عام ١٩٦٧ بحملة تطهيرية متسعة وعلى جميع الاصعدة اسقط خلالها الكثير من العناصر

البقية على الصفحة — ١٥

٢ — وصلت أول بعثة للجزويت الى الفيتنام في القرن السابع .

٣ — لا يستطيع المرء الا أن يشير الى نصف قرن مضى على تأسيس احزابنا الشيوعية الرسمية ، لم تحقق بانقضائها الا التراجع حتى انتهت في تراجعها الى الخلف الى مواقع البورجوازية الصغيرة المتقدمة .

ظفار .. أو ساحة الصدام الاخرى في المنطقة العربية

ثورة تستلهم الماركسية اللينينية وتقاتل اشد النظم تخلفا

■ بقلم : جان بيير فينو ■

ظهرت هذه المقالة في عدد كانون الثاني ١٩٧٠ من « الموند ديبلوماتيك » بقلم جان بيير فينو في اعقاب زيارة قام بها الكاتب الى ظفار .

لفترة وجيزة ، كانت القلة من المراقبين السياسيين ، وحتى العرب منهم، هي التي تستطيع أن تعين مكان ظفار على خارطة الشرق الاوسط . بينما يعد الاجانب الذين دخلوها على الاصابع ، وأول هؤلاء كان طالبا فرنسيا في الفلسفة ، السيد جان جريل ، زار عام ١٩٦٨ المناطق المتمردة في ظفار كمندوب عن لجنة التضامن مع الثورة اليمنية وحركات التحرر في شبه الجزيرة العربية .

ظفار ، التي تشكل المقاطعة الغربية من سلطنة مسقط وعمان والواقعة تقريبا في وسط الشاطىء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية بين المهرة ، المقاطعة التي تقع اقصى شرقي الجمهورية الشعبية لليمن الجنوبي ، وبين الصحراء السعودية المستعصية على العبور (الربع الخالي) ، بدأ اسمها في الظهور في الصحافة الصينية والكوبية ، وعلى صعيد عربي ضئيل . وفي النهاية فان واحدا من أقل بلدان العالم شهرة ، يحيا معزولا عن ما تبقى من شبه الجزيرة العربية ولا يعرف قاطنوه من الحضارة الغربية سوى قنديل الكاز والبندقية ، ولا يتكلمون اللغة العربية ولكن لغة سامية قريبة منها تدعى باللغة الجنوبية اليمنية أو الحميرية ، هذا البلد يخوض حاليا غمار ثورة هي الاكثر جذرية في العالم العربي ، ثورة هي في آن واحد وطنية، واجتماعية وثقافية .

المقاتلون الماركسيون اللينينيون في ظفار ، يمثلون حاليا مع المقاومة الفلسطينية في الوطن العربي نقطة الصدام الملتهب والمسلح بين المجتمع القديم والثورة ، وفي وسعنا أن نحددها كأهم تظاهر ملموس «لليسار العربي الجديد» الذي ظهر في اعقاب معارك حزيران ١٩٦٧ ، والذي قام على اساس نقد جذري لكل الانظمة العربية التي كانت البنى الطبقية التي أرستها مسؤولة عن الهزيمة العربية في فلسطين . وكانت هذه الثورة أيضا نتيجة وامتدادا للثورة اليمنية الجنوبية ، التي في قيامها بكفاح مسلح دار بشكل رئيسي في الارياف ، توصلت الى زعزعة كاملة للبنى القبلية الاقطاعية لامارات الاتحاد الفدرالي العربي الجنوبي القديم الذي أقامته السلطات البريطانية .

وقد استطاعت الثورة اليمنية الجنوبية أن تؤسس في عدن الجمهورية الاكثر ثورية في كل البلاد العربية ، والتي خلقها الجناح اليساري الثوري للجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني. ومنذ أن أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب من الخليج العربي ، بدأ سباق حقيقي بين القوى التقليدية المحافظة ، ممثلة بالانظمة الاوتوقراطية في طهران والرياض ، الى جانب اتحاد امارات الخليج ، وبين القوى الثورية الصاعدة ، وقد حفز هذا السباق الرغبة في الاشراف على مصادر الثروة البترولية الهامة في هذا الجزء من العالم .

ظفار لا تمثل سوى جزء صغير للغاية من سلطنة مسقط وعمان التي تمتد أراضيها الواسعة الى ٥٠٠ ٠٠٠ كيلو متر مربع والتي تحدها العربية السعودية عبر صحراء واسعة رغم أن هذه الحدود ليست معينة تعيينا دقيقا كما أن شاطئها المواجه لبحر عمان الذي يشكل امتدادا للمحيط الهندي ، يمتد على ١٦٠٠ كيلو متر ابتداء من سلالا (١٠ ٠٠٠ نسمة) وهي عاصمة ظفار واحدى اهم القواعد البريطانية في المنطقة ، مرورا بالشارجة (شاطىء القراصنة) والبحرين ومسيرة حتى شبه جزيرة مازندام التي تشرف على مضيق هرموز الواقع في مدخل الخليج العربي والتي الحقتها لهذا السبب بريطانيا العظمى بالسلطنة (سلطنة مسقط وعمان) .

يقدر عدد سكان ظفار من ١٥٠ الى ٢٠٠ ألفا ، يحيون على الشاطىء الذي يستخدم بكثرة للصيد (وخاصة صيد السردين ، وسمك القرش) ، وفي الجبال التي تضربها أربعة أشهر في العام كل صيف الرياح الموسمية الاتية من الهند ، ويزاولون فيها الزراعة (الشوفان والقمح) وتربية الجمال ، والعجول ، والضأن ويجنون مواسم البخور والصمغ العربي . الرياح الموسمية تمنح لريف ظفار مظهرا أخضر للغاية ، لا يرقى اليه الخيال ، يصل الى بعد ٢٠٠ كيلو متر عن الصحراء الرهيبة « الربع الخالي » التي يقع جبل قارا سدا في وجه رياحها الساخنة . وتبدو الحقول شبيهة بمراعي نورماندي الى جانب الغابات الصغيرة المؤلفة من أشجار المناطق المعتدلة والشاطىء الغائم والبحر الصاخب الذي يذكر بريفبرتون. ولا نجد القرى المشيدة من منازل حجرية الا على الشاطىء ، ففي جهات اخرى يحيا مزارعون ومربو حيوانات اليفة في بيوت من الطين ، أو الاغصان أو غالبا في الكهوف .

استقلال صوري

النظام السياسي في ظفار ، وبشكل عام في سلطنة مسقط وعمان ، هو واحد من أكثر الانظمة في العالم قدما وغرابة . السلطنة هي — نظريا — مستقلة ، بمعنى أنها لا تدخل من وجهة النظر الرسمية البريطانية ، لا في نطاق المستعمرات ولا المحميات ، لكنها تشكل في الواقع واحدة من بلدان المنطقة الاكثر خضوعا، عسكريا وسياسيا ، لبريطانيا العظمى . وهي ترتبط بها « بمعاهدة صداقة وتجارة وبحرية » عقدت في عام ١٩٥١ بين السلطان والسلطة السياسية البريطانية في الخليج العربي . واستقلالها يبدو عجيبا ، اذ لم تعترف به اية دولة في العالم باستثناء بريطانيا ، ووزير خارجيتها ليس الا موظفا في وزارة المستعمرات وجيشها مؤلف بشكل قاطع من ضباط بريطانيين وجنود من اصل البالوتشيستان الايرانيين ، ولا علاقات ديبلوماسية لها الا مع دولتين في العالم هما : بريطانيا والهند ، ومن المستحيل على أي شخص من غير البريطانيين أن يدخلها، فبريطانيا العظمى لا تمنح أية « فيزا » الا لمندوبي الشركات البترولية . ويحكم السلطنة منذ عام ١٩٣٢ السلطان سعيد بن تيمور وهو رجل عديم الشخصية ، ولا ندري حقا اذا كان ميتا أو هو على قيد الحياة . فالثوار الظفاريون يعتقدون أنهم أردوه قتيلا في ٢٦ نيسان ١٩٦٦ ، وهو من حينها لم يظهر أمام الناس . بريطانيا العظمى لم تذع مطلقا نبأ موته ، لان هذا يورطها بتعيين سلطان جديد ، وهذا التعيين يجابه صعوبات بالغة بالنظر للمنافسات الحادة القائمة في قلب الاسرة الحاكمة . والواقع أن عمان هي خاضعة ببساطة للسلطة العسكرية البريطانية والادارة المحلية لا وجود لها .

في كل السلطنة لا توجد الا مدرسة واحدة في مسقط « العاصمة » وهي مقصورة على ابناء عائلة السلطان . وفي ظفار لا توجد أية طريق باستثناء الطريق الاستراتيجية المؤدية الى قاعدة سلالا . وليست هناك أية مدرسة، وأي مستوصف ، وأية خدمات اجتماعية أو عامة (مياه ، كهرباء .. الخ) . والمسافر أو الصحفي الذي يطوف في أرياف ظفار مع المقاتلين ، والذي يضطر الى أن يبيت معهم في العراء أو في الكهوف ، لا يجد وسيلة للتنقل سوى السير على قدميه ، الوسيلة الوحيدة الموجودة . كما أن عليه أن يقتات بشكل دائم بالرز وحليب الجمال ، وهو سيجد نفسه فجأة داخلا في مجتمع لم يخرج بعد من مرحلة ما قبل التاريخ وبالكاد نستطيع أن نميز فيه طبقات اجتماعية . وأحد اسباب النجاح الصاعق للثوار ، علاوة على تفجيرهم البنى الاجتماعية القبلية الهرمة ونقلهم الصراع الطبقي الى داخلها ، هو أنهم يعبرون عن غضب شعب محروم ، يملؤه احساس حاد بأنه ابعد بشكل متعمد عن الحضارة الحديثة . وبالتالي يقودون حربا للبؤساء ، « لمعذبي الارض » ، ضد كل الاغنياء في شبه الجزيرة العربية : الامراء والسلاطين والشيوخ والملوك ، الذين حازوا على ثرواتهم من الشركات البترولية ووجود المستعمر الاجنبي .

نظام السلطان كان عبقريا في قدرته على أن يحرم السكان في ظفار ، بكل الوسائل الممكنة، من أي مظهر للتقدم التكنيكي والحضارة الحديثة . فالضرائب الباهظة والمختلفة ادت عمليا الى خراب التجارة في ظفار ، رغم انها واحدة من المناطق الزراعية الاكثر غنى في شبه الجزيرة ، والتي كانت تصدر من قبل عددا من الحاصلات الزراعية . بينما تمنع القوانين الصارمة أي نشاط انساني طبيعي ، ابتداء من سماع الراديو أو شراء الترانزستور ، وانتهاء بمنع الخروج من البلاد ، حتى ولو كان هذا الخروج لاسباب صحية . الا أن هذا المنع لم يؤثر على تزايد سيل الهجرة السرية الى امارات الخليج . ويملك السلطان وحده في ظفار ، التي ينقل اليها اقامته في الصيف، أراض زراعية غنية واسعة ، وحدائق مروية، وخاصة في المعمورة والرزات ، حيث يعمل لحسابه جيش من العبيد . ولهذا السبب حرم على الظفاريين عام ١٩٥٠ استعمال قنوات الري وحصرها في أرضه . ومنذ ظهور المقاتلين حرم الانتقال بين المدن ، واحاط سلالا من كل جهة بالاسلاك بحيث صارت اشبه بمعسكر واسع للاسرى . ووحدهم الاشخاص المعروفون من السلطان ، والذين يحملون اذونات خاصة مكتوبة منه ، هم الذين يتاح لهم أن يدخلوا المدينة وأن يخرجوا منها . وقد بدأ التنقيب عن البترول في ظفار منذ عام ١٩٥٣ من قبل شركة أميركية هي « ظفار سيتي سرفيس بتروليوم كومباني » ، ولكن هذه الشركة اجبرت على أن توقف أعمال التنقيب منذ بدء القتال .

انتفاضات الجبل الاخضر

حتى عام ١٩٥٥ ، لم تكن سيطرة السلطان تتجاوز المناطق الساحلية ، فعمان الداخلية ، وخاصة الجبل الاخضر وعاصمته نزوى ، كانت حتى هذا الوقت محكومة من قبل الامام ، الزعيم الروحي والزمني للخوارج العباديين ، والخصوم التقليديين لسلاطين مسقط ، الذين برزوا في نهاية القرن الثامن عشر وانفصلوا عن الامامة بتشجيع من بريطانيا التي استطاعت أن تفرض نهائيا نفوذها في المنطقة في نهايات القرن التاسع عشر ، بعد أن أزاحت عنها فرنسا . ومنذ أن خرجت عمان الداخلية على سلطنة الخلفاء العباسيين في ٧٥١ — ٧٥٢ استطاعت كقلعة حصينة أن تحتفظ ببسالة باستقلالها تحت امرة الائمة الخوارج الذين لا يتمتعون بأي سلطان وراثي ، أو مطلق ، ولكنهم يخضعون لرقابة مجلس شورى . وحينما احتل البرتغاليون مسقط عام ١٥٠٨ طردوا منها في القرن السابع عشر ، من قبل العمانيين الذين هبطوا من جبالهم . وبموجب معاهدة « سيب » ١٩٢٠ اعترفت بريطانيا باستقلال امامة عمان ، بالنسبة لسلطنة مسقط .

عام ١٩٥٤ انتخب غالب بن علي الهندي ، الامام الثامن والخمسين لعمان ، وازاء مواجهته لتحرشات شركة « ايراب بتروليوم كومباني : الاي. ب. سي » التي اعتبرت أن الصلاحية الممنوحة لها من قبل السلطان وخليفته في عمان تمتد حتى نزوى أعلن السلطان في حزيران استقلال عمان . ورغم أن هذا الاستقلال قد تم الاعتراف به من قبل اليمن والمملكة العربية السعودية ، فان انكلترا التي كانت في أزمة مع المملكة السعودية ، بسبب واحة البريمي ، صممت ازاء هذا الاعلان للاستقلال من جانب واحد، أن ترسل جنودها الى شاطىء القراصنة (مجموعة من سبع امارات) ، وتحتل واحة البريمي ، مما نتج عنه انقطاع العلاقات السعودية — البريطانية التي عادت الى سابق عهدها بعد وقوع الانقلاب اليمني عام ١٩٦٢ . ثم انقضت على نزوى عاصمة عمان الداخلية واحتلتها . وفي ديسمبر ، بعد المعركة الصاعقة التي كانت وراءها شركة « الاي، بي، سي » استطاع سعيد بن تيمور أن يضع قدمه للمرة الاولى في حياته على الجبل الاخضر ، بينما فرضت على الامام الاقامة الجبرية ، والتجأ أخوه طالب للسعودية . وفي عام ١٩٦٧ انفجر في الجبل الاخضر عصيان ثان ، بقيادة الامام غالب واخيه طالب ، وعرضت المسألة العمانية التي دعمت من قبل موسكو والقاهرة ، على مجلس الامن ، لكن نزوى المتمردة سقطت في أيدي القوات البريطانية في ١٣ اب ١٩٦٧ بعد أن قصفت قرى الجبل الاخضر بالقنابل .

ومنذ ذلك الحين شكل الامام اللاجىء الى السعودية مجلسا لقيادة الثورة ، كانت له في اغلب البلدان العربية بعثات ديبلوماسية (دمشق ، الجزائر ، بغداد، القاهرة ، بيروت) ترفع علم البلد ، وتعطي جوازات سفر ، وتطبع منشورات للدعاية . وفي النهاية خمد الان كليا لهيب العصيان ، رغم أن مكاتب الامام في البلدان العربية تنشر من وقت لاخر اخبارا عسكرية عن اشتباكات خيالية بين الفدائيين والقطعات البريطانية . وفي كل عام تصوت الامم المتحدة الى جانب قرار يقضي باستقلال عمان . وقد شكلت ايضا لجنة عالمية لدرس المسألة العمانية . والامام الذي يقضي وقته بالتنقل بين العواصم العربية متمولا من الجامعة العربية عندما يغادر قصره في الدمام يعتبره ثوريو ظفار ، بالنظر الى علاقاته الحميمة مع المملكة السعودية والولايات المتحدة ، « عنصرا من الردة المضادة للثورة ، وممثل أرستوقراطية رجعية ودينية » . وعلاوة على ذلك ، فان المسؤولين السياسيين في الثورة يفترضون أن بريطانيا العظمى ستعيد ، قبل انسحابها من الخليج العربي ، الامام الى السلطة لتملأ بذلك الفراغ السياسي الذي لا بد سيتولد عند انسحابها من عمان لان عمان مستقلة نظريا وهي لا تعتبر عضوا في اتحاد امارات الخليج . وفرضية اعادة الامام مبنية أيضا على العلاقات الموجودة من قبل بين حركته وبعض اعضاء اسرة السلطان كما هي مبنية على أن الامام حاول أن يدخل في مفاوضات مع بريطانيا في بيروت . ولا يرى بعض المراقبين في انتفاضتي الجبل الاخضر سوى مرحلة من المنافسة المقنعة بين الاي، بي، سي، والارامكو .

ولادة جبهة تحرير ظفار

ازاء هزيمة الثوار في الجبل الاخضر صممت بضعة عناصر من المناضلين على أن تعيد ارساء المعركة على قواعد سياسية جديدة ، وفي منطقة أخرى . في ظفار ، كانت الشروط الجغرافية مهيأة لحرب العصابات (جبال محرجة ، غابات كثيفة ، وانعدام تام للطرق) . وهكذا ولدت في نهاية ١٩٦٤ جبهة تشكلت من امتزاج ثلاثة تنظيمات : الجمعية الخيرية الظفارية ، الجنود الاحرار الظفاريون ، وبشكل خاص الفرع المحلي لحركة القوميين العرب، التي كان لها فروع في شتى البلدان العربية في الشرق الاوسط ، وكانت انذاك ذات اتجاه ناصري . تلك هي جبهة تحرير ظفار ، التي باشرت عملياتها العسكرية في ٩ حزيران ١٩٦٥ . ومنذ البداية توثقت علاقات حميمة جدا بين جبهة تحرير ظفار ، والجبهة القومية لتحرير اليمن الجنوبي ، التي أسسها هي الاخرى ، الفرع المحلي لحركة القوميين العرب، والتي نظمت انتفاضة ردفان في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ . وقد كان بعض أعضاء الجبهة القومية لتحرير اليمن الجنوبي يعتبرون ظفار على صعيد ما ، جزءا من جنوب اليمن . وحتى استقلال عدن في نهاية نوفمبر ١٩٦٧ ظلت جبهة تحرير ظفار مجهولة ومعزولة كليا بشكل متماثل على الصعيدين العربي والعالمي . هذا اذا استثنينا بعض العون العسكري الذي مدتها به في البداية عن طريق السعودية حركة الامام . الا أن حركة الامام أدانت ، فيما بعد ، ثورة ظفار بأنها « شيوعية ، اقليمية ، وانفصالية » !.

ولادة الجمهورية الشعبية لليمن الجنوبي ، غيرت الموقف بصورة جذرية ، فهي تمثل الان قاعدة دعم اساسية للجبهة ، بذات الصلابة التي تدعم بها فيتنام الشمالية جبهة تحرير فيتنام الجنوبية ، لانها تدعمها عسكريا كما تمدها بالمؤن ، وتعالج جرحاها ، وتوفر لها على أرضها معسكرا للتدريب ، وتضع ادارتها المحلية في المحافظة السادسة (المهرة) في خدمتها ، وتبث انباءها العسكرية من راديو عدن حيث يوجد للجبهة مكتب رسمي ، على بعد مائة متر من مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وهذا العون قد تزايد منذ حدثت التغييرات التي تمت منذ فترة وجيزة في اليمن الجنوبي وحملت يسار الجبهة القومية الى السلطة . فالحكومة الجديدة أعلنت مباشرة عزمها على زيادة العون الذي تبذله للمقاومة ، وخاصة الجبهة الديمقراطية وثورة ظفار ، بينما وضع وزير الخارجية الجديد السيد علي سالم البيض ، الدول العربية الاخرى بوضوح أمام مسؤوليتها ازاء الثورة في ظفار ، والمجهولة كليا من قبلها . وهناك اغان شعبية في ظفار تتغنى بتحالف القاف والشين: الجبهة القومية والجبهة الشعبية ، بعد أن تحولت جبهة تحرير ظفار الى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج .

تابعت جبهة تحرير ظفار التطور العام لحركة القوميين العرب ، التي أعلن جناحها اليساري نفسه بشكل قاطع ماركسيا لينينيا ، وأعلن انفصاله التنظيمي عن حركة القوميين العرب القديمة ، وشكل تنظيمات جديدة في كل البلدان ، حيث جابهت الحركة انشقاقات . ففي فلسطين تأسست الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وفي العراق الحركة الاشتراكية العربية ، وفي لبنان منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ، وفي المملكة العربية السعودية الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير شبه الجزيرة العربية والتي يناضل أغلب اعضائها في صفوف الجبهة الشعبية الديمقراطية ، وفي الجمهورية العربية اليمنية الحزب الديمقراطي الثوري اليمني ، وفي اليمن الجنوبي الجناح اليساري للجبهة القومية ، الذي هو حاليا في السلطة ، وأخيرا في البحرين وامارات الخليج الحركة الثورية الشعبية لعمان والخليج العربي . ان المؤتمر الثاني لجبهة تحرير ظفار المنعقد في حمارين من ١ الى ٢٥ سبتمبر ، والذي شارك فيه مندوبون عن التنظيمات الثورية لامارات الخليج ، سجل « تحولا تاريخيا » في حياة الجبهة ، وكانت قراراته الرئيسية ونتائجه بالشكل التالي :

١ — أزاحة القيادة القديمة التي كان بعض اعضائها يحابون فكرة انشاء دولة مستقلة في ظفار ، وتغيير اسم الجبهة الى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج .

٢ — التبني الواضح للايديولوجية الماركسية اللينينية ، ورفض كافة أشكال البورجوازية القومية .

٣ — تبني مبدأ الحرب الشعبية الطويلة الامد ، كأسلوب رئيسي للمعركة ، وخلق بؤر اخرى لحرب العصابات ، وخاصة في عمان الداخلية ومد المعركة المسلحة الى كل امارات الخليج .

٤ — ارساء استراتيجية شاملة على مدى بعيد ، تنطلق لا من مبدأ استقلال ظفار ، ولا حتى من استقلال مسقط وعمان ، ولكن من تأسيس دولة عربية موحدة : الجمهورية الشعبية العربية للخليج ، والتي تضم ظفار وعمان وامارات شاطىء القراصنة ، وقطر والبحرين والكويت .

معركة مسلحة وتربية سياسية

ان تزور ظفار فهذا يعني قبل كل شيء ، الوصول الى مدينة «جايدة» عاصمة المحافظة السادسة والتي تقع على بعد ١٠٠٠ كيلو متر عن عدن . وينبغي بعد ذلك السير على الاقدام قرابة ١٥٠ كيلو مترا للوصول الى الجبهة الغربية في ظفار ، المحاذية للمهرة ، مرورا عبر اليمن الجنوبي بقرى : الصيادين، دامقوت ، فالحوف ، اخر مركز لليمن الجنوبي قبل الحدود ، والقاعدة الرئيسية لثوار ظفار في اليمن الجنوبي ، حيث يلجا كل شهر قرابة ٢٥٠ لاجئا ، هربا من قصف القنابل البريطانية ، وهذا ما يوضح الى حد ندرة الصحفيين الذين غامروا بزيارة ظفار ، لكنه لا يوضح ذلك بصورة كاملة . فقد سألنا مسؤولا في مكتب الجبهة في عدن أن يفسر لنا كيف أن صحفيا عربيا احدا لم يقدم ريبورتاجا عن ظفار حتى الان . وقد اجاب المسؤول بالشكل التالي : صحيفة « الحرية » التي كانت الصحيفة الرسمية لحركة القوميين العرب والتي تصدر في بيروت ، وهي الان الناطق الرسمي لـ « اليسار الجديد » قد نشرت الريبورتاج الاول عن ظفار في عددها ٣٩٨ (٥ شباط ١٩٦٨) وقد أعقبتها مجلة « القارات الثلاث » الكوبية (عدد ١١ اذار — نيسان ١٩٦٩) ، والصحافة الصينية التي يوجد لها مراسل دائم في عدن (الصين الجديدة) ، وقبل شهر ، كان غارديان ترولر وكلود دفراج أول صحفيين غربيين يدخلان الى ظفار ، وقد عادا بريبورتاجات نشرت في صحف المانية




ظفار

(شتيرن) وفرنسية (فرون سبتمبر ١٩٦٩) ، وعادا أيضا بفيلم ظهرت اجزاء منه في التلفزيون الفرنسي في نهاية حزيران ١٩٦٩ .

مقاطعة الثورة الظفارية من كل الدول العربية ، ما عدا اليمن الجنوبي ، يردها المسؤولون في جبهة تحرير ظفار الى الطابع البورجوازي لهذه الدول التي ليست لها بالنتيجة اية مصلحة في أن تطلع شعوبها على التجربة الاولى الناجحة لحرب التحرير الشعبية في البلاد العربية والتي تقوم بقيادة ماركسية لينينية . والمسؤولون في الجبهة لا يغفرون بشكل خاص للعراق ومصر ، تأييدهما العلني لاتحاد امارات الخليج ، الذي يضم قطر والبحرين والدويلات السبع لشاطىء القراصنة ، وقد حكمت عليه الجبهة بالموت في بيان قريب العهد ، وقد كانت مصر الناصرية في المناقشات التي أجريتها مع مسؤولين ومع عناصر من القواعد ، الهدف الذي تنصب عليه الهجمات . وكانت الجبهة قد نالت اذنا بفتح مكتب لها في القاهرة ، لكنها منذ أن أعلنت تبنيها للماركسية اللينينية لم يعد هذا المكتب يحظى بأية حرية في الحركة ، وأبواق الدعاوة المصرية أوقفت كل اهتمام بنشاطاته .

واقع أن الصين هي الدولة الوحيدة في العالم ، الى جانب اليمن الجنوبي ، التي تمد يد العون بشكل مادي لثوار ظفار ، قد أدى بعدد من المراقبين الى الاستنتاج السريع بأن الجبهة « هي بشكل خالص حركة ماوية » . وهذا ما نستنتجه للوهلة الاولى بعد الطواف في ظفار ، لان كل المقاتلين ، وحتى الأطفال ، يحملون مطبوعات للينين وماو ، ويدرسون كتب ماو المكرسة للحرب الشعبية ، ويحضون السكان على قراءة الكتاب الاحمر الصغير ، ويقرأون منه عليهم ، ويضمرون للصين الشعبية تقديرا بدون حدود « الحليف الكبير والصديق الكبير » . لكن الاشياء في الواقع اكثر تعقيدا حينما نراها عن كثب : فالاتجاه السياسي لجبهة تحرير ظفار هو نفس الاتجاه السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية التي نجد منشوراتها ، ومنشوراتها وحدها من بين كل تنظيمات المقاومة الاخرى موزعة بين الثوار . وجبهة ظفار مثل الجبهة الديمقراطية ترفض أن تأخذ موقفا عاما من الصراع الصيني — السوفياتي ، وهذا لا يمنع مناضلي القاعدة من فضح « تحريفية الاتحاد السوفياتي » . وانه لمستغرب من ناحية ثانية أن نجد بضعة حركات فرنسية ذات اتجاه صيني ، تعتبر الجبهة الديمقراطية « مريضة باليسارية » و « تروتسكية » . وبعد قراءتي في مكتب الجبهة بالحوف للمجموعة الكاملة لصحيفة صوت الشعب التي تصدرها الجبهة ، صارت عندي القناعة الشخصية بأن المواقع السياسية — العسكرية التي تأخذها الجبهة ، هي أكثر قربا الى المفهوم الكوبي ، منها الى الموضوعات الصينية ، فهي تبتعد بشكل خاص عن هذه الاخيرة في نقطتين رئيسيتين: دور البورجوازية في معركة التحرير الوطني ومفهوم طبيعة الثورة والحزب الماركسي اللينيني .

الجبهة اذ تخوض في آن واحد ، ثورة للتحرر الوطني ، وثورة للتغيير الاجتماعي الجذري ، ترفض أي صيغة للتحالف مع أي قطاع من البورجوازية مهما كان . هذه البورجوازية التي هي من جهة ثانية غير موجودة في ظفار الا في حالة بورجوازية تجارية في سلالا . وتتوجه جبهة تحرير ظفار الى اقامة الدولة العمالية للفقراء على انقاض الجهاز القديم للدولة الاقطاعية القبلية ، والبورجوازية الكولونيالية. هذا الموقف يرتبط بالموقف الخالص السلبية الذي كان لغيفارا ازاء دور البورجوازية في أميركا اللاتينية . العملية التاريخية التي تدور في ظفار هي تجسيد للموضوعة الكوبية القائلة بأن القيادة العسكرية لحرب العصابات تستطيع عبر القتال ، ان تتطور الى حزب عمالي . وليس ضروريا أن ننتظر بناء هذا الحزب لمباشرة المعركة المسلحة . وهناك مقالة منشورة في نشرة شباط ١٩٦٩ بعنوان « ماذا نفهم من تعبير الاشتراكية العلمية » تقوم بشكل واضح بمراجعة لمفهوم « الثورة الدائمة » ، بينما في مكان أبعد يشار الى موضوعة ماو حول استمرار الصراع بين الطبقات ، على الصعيد الايديولوجي ، طويلا بعد اختفاء البنى التحتية الاقتصادية — الاجتماعية للطبقات المستغلة .

• كيف تتلاصق الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية

• علاقة الثورة في ظفار بالجبهة الشعبية الديمقراطية

أممية وصراع طبقي

النتائج الملموسة للجبهة على الصعيد السياسي تتمثل في المستوى المرتفع للوعي السياسي عند مناضليها ، وزوال الامية في المناطق التي يسيطر عليها الثوار . وبرفقة صحفيين من مكتب الصين الجديدة في عدن ، استطعت أن أزور معسكرا للتدريب في الجبهة، في مكان ما من المحافظة السادسة حيث المتدربون تتراوح أعمارهم بين الـ ١٥ والـ ٢٠ عاما ، وبعضهم قدموا من امارات الخليج ، يتلقون أثناء تدريب مكثف خلال ثلاثة اشهر ، تربية سياسية وتدريبا عسكريا اوليا . الاممية والصراع الطبقي هما محور هذه التربية السياسية . وفي الدفاتر السياسية المصممة للمقاتلين الاحداث ، يوجد فصل كامل مكرس لفضح سياسة « الحياد الايجابي وعدم الانحياز » حيث وصفت هذه السياسة بأنها « سياسة انتهازية ، ترفض أن تختار بين المعسكر الاشتراكي ، والمعسكر الرأسمالي »، وفي مكان اخر من هذه الدفاتر تعداد لقواعد سلوك المقاتل ازاء السكان ، في صورة تعليم اخلاقي يماثل بقوة سلوك الجندي في الجيش الاحمر الصيني . والتحليل لكل الوقائع تبعا لمبدأ الصراع الطبقي هو ما يخرج الى حيز التنفيذ ، وقد حضرت نقاشا طويلا مع مناضل بخصوص « الطبيعة الطبقية للموسيقى المصرية » ، فأغاني أم كلثوم تلعب ، بالنسبة اليه ، « دور الافيون في الشعب المصري » .

وبمجرد وصولي الى ظفار وجدت نفسي نهبا لموجة من الاسئلة ، حول دلالة احداث حزيران ١٩٦٨ في فرنسا ، وعن وضع اليسار الفرنسي، وسياسة الحزب الشيوعي ، ولكني تعثرت بقدر كبير من الصعوبة حينما حاولت أن أشرح لماذا لا تستطيع الطبقة العاملة الفرنسية أن تعلن الثورة فورا ، وأن تستولي على السلطة في فرنسا . ففي ظفار ليست هناك اية فكرة عن الوضع السياسي في بلد صناعي متقدم ، وهم يجهلون المساومات ، اذ يعيشون الصراع الطبقي يوميا في حالته الخالصة .

الايديولوجية الاممية للجبهة تظهر في وضعها المتميز في موضوع الهجرة الايرانية ، ومحمود عبد الله ، عضو القيادة العامة للجبهة ، قال لي ، غب مناقشة طويلة خضتها معه في الحوف « نحن لا نطرح مسألة الهجرة الايرانية الى امارات الخليج من منظور قومي شوفيني . فكثرة من المهاجرين هم من الطبقة العاملة أو هم ذوو اصل اجتماعي متواضع جدا ، لكنهم متأثرون بأيديولوجية الطبقة الحاكمة الايرانية، التي تطالب بضم أرخبيل البحرين الى ايران . نحن نبذل قوانا لتنمية معركة أممية مشتركة بين العمال العرب والايرانيين في الامارات ضد الامبريالية والرجعية العربية والارستقراطية الايرانية والرأسمالية البترولية » . وكالحركات القومية العربية تعتبر الجبهة تسمية «الخليج الفارسي » اختراعا بريطانيا « يترجم المطامع التوسعية للشاه ازاء البحرين ومناطق اخرى في الخليج ، اذ يرمي في تشجيعه على هجرة ايرانية منتظمة الى أن يخلق في اللحظة التي تنسحب فيها بريطانيا وضعا من الانقسام العنصري » .

القيادة العامة في الجبهة مؤلفة من ٢٥ عضوا ، يساهم ٢٤ في القتال ، وتتوزع في أربع لجان كل منها تضم خمسة اعضاء . وهذه اللجان تتألف من لجنة سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية ، وتنظيمية . تضاف اليها لجنة تنفيذية مؤلفة من خمسة اعضاء . ظفار مقسمة على الصعيد العسكري الى ثلاث مناطق ، غربية ووسطى وشرقية ، حيث يتمركز في كل منها عدد من الفصائل العسكرية ، وعلى رأس كل منها مفوض سياسي (مرشد سياسي) يتميز بالحركة السريعة والغياب التام للسلوك البيروقراطي . والى جانب جيش التحرير الشعبي توجد الميليشيا الشعبية ، التي تشارك فيها النساء ، وهي مكلفة بحماية وادارة القرى ، وبجمع المعلومات ونقل الجرحى ، والتسليح روسي وصيني وبريطاني .

وبعد تحرير القرية الساحلية الكبيرة دلكوت وثم رحبوت ، التي استطعت أن أنزل اليها بضعة ايام ، في غمرة غارة للطيران البريطاني، والتي اسر حاكمها ، وقد رأيته يصل الى معسكر الجبهة مع ١٥ من المرتزقة البانوتشيستان ، بعد ذلك تم تحرير الجبهة الغربية نهائيا . وتستعر المعارك الان بشكل يومي على الجبهة الوسطى ، في شمال سلالا ، والثوار ينتقلون الى الهجوم ، ويقصفون بشكل منتظم المعسكرات الثانوية للجيش البريطاني ، الذي لم يعد يستطيع أن يثبت على الجبهة الغربية التي قيض لي أن أزورها ، والخسائر في الارواح ضعيفة نسبيا ، لان السكان يتركون القرى المحررة ويلجأون الى الجبال والكهوف ، خشية الغارات الانتقامية للطيران البريطاني ، كما حدث في رحبوت . السلطات المحلية تجوع سكان الريف ، الذي هو بشكل كامل تحت سيطرة الثوار . والمساجين السياسيون كثرة في قلعة جلالي في مسقط . الاطباء والمرضات يرتكبون اخطاء شنيعة ، ويحمل الجرحى على الظهر حتى جنوبي اليمن . وفي القرى المحررة صارت الارض ملكية عامة ، وقضي على شيوخ القبائل ، فالملكية الزراعية الكبيرة نادرة ومقصورة على عائلة السلطان . والجبهة تهتم بشكل خاص بتحرير المرأة ، المسألة التي هي الفيصل الحاسم لتمييز الثورة الاجتماعية الحقيقية .

يحق لنا أن نتساءل في النهاية ، لماذا تصب بريطانيا نار غضبها على ظفار ، وتخوض فيها حربها الاستعمارية الاخيرة ؟ ان هذا يقع لان بريطانيا قد أعلنت عزمها على الانسحاب من الخليج ، ولان الجبهة الشعبية لتحرير الخليج المحتل قد أعلنت تصميمها القاطع على مد الثورة المسلحة الى كل امارات الخليج ، حيث يمتد تنظيم سياسي (الحركة الثورية الشعبية) بصورة مماثلة في هذه الامارات ، وينتشر خصيصا بين عمال الاستثمارات البترولية ، ويهدد بنسف الامر الواقع كله . بريطانيا لا تتجه الى سحق الثورة الظفارية ، بقدر ما تتجه الى حصر هذه « القاعدة الحمراء » على ابواب العربية السعودية ، بعيدا عن الثروات البترولية الهائلة في الخليج ، حيث تنشب المعركة على خلافة بريطانيا منذ الان ، بين القوى الثورية والقوى الرجعية ، هذه القوى الرجعية التي ستعمد ، في مواجهة الخطر المشترك ، الى فض خلافاتها الثانوية ، لتخوض معركة نترقب أن تكون ضارية وحاسمة .

رسائل

المؤتمر السابع عشر للاتحاد العام للطلاب العرب في المملكة المتحدة وايرلندة

عقد الاتحاد العام للطلاب العرب في المملكة المتحدة وايرلندة مؤتمره العام السابع عشر في العشرين من الشهر الماضي . وقد حضر المؤتمر ممثلون عن المنظمات الفدائية الفلسطينية وممثل عن اسرة مجلة « الحرية » اللبنانية ، كما حضر المؤتمر أيضا ممثلون عن الروابط والاتحادات الطلابية في اوروبا الغربية والاتحادات والروابط الطلابية في البلدان العربية .

وقد تضمن تقرير المؤتمر عرضا للنشاطات التي قام بها الاتحاد خلال العام الماضي وقدم أمين الصندوق البيالي المالي .

وقد انتخب المؤتمر مجموعة من اللجان كان أبرزها لجنة حركة التحرر العربي ، ولجنة الحركة الطلابية ، ولجنة القضايا الدولية ، ولجنة الاعلام العربي ، ولجنة الثورة الفلسطينية .

وقد تضمن تقرير لجنة حركة التحرر العربي مجموعة من القرارات كان ابرزها :

١ — يرفض المؤتمر قرار مجلس الامن ومحادثات الدول الكبرى وكل حل سلمي يترتب عليه ضرب الثورة الفلسطينية . ويطالب الحكومات العربية برفض القرار والتوجه نحو اعتبارات الحرب الشعبية ، وذلك بتحرير الاقتصاد وبناء اقتصاد حرب ، والغاء الامتيازات البيروقراطية وتسليح الجماهير العربية .

٢ — يؤمن المؤتمر بشعار : لا مهادنة مع الرجعية ، ويعلن تحفظه من سياسة مؤتمرات القمة ، ويرفض اية تنازلات من قبل الدول التقدمية للرجعية العربية .

٣ — يرى المؤتمر أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير الارض المحتلة ، ويدعو المؤتمر جميع المنظمات الفدائية لتوحيد العمل الفدائي من أجل تصعيده على طريق الحرب الشعبية .

٤ — يؤمن المؤتمر بأن الحل الوحيد والعادل للقضية الفلسطينية هو انهاء الكيان الصهيوني وقيام الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي لا يكون فيها الدين أو القومية عاملا مميزا بين مواطنيها .

٥ — يؤمن المؤتمر بأحقية وممارسة العمل الفدائي في جميع اطراف الارض العربية وبالاخص المجاورة لاسرائيل ، ولذلك فهو يشجب بشدة مؤامرات الطبقة الحاكمة في لبنان والاردن لضرب الثورة الفلسطينية ، ويؤيد الحركات التقدمية في نضالها ضد السلطة ويطالبها بتنظيم الجماهير لتكون درعا واقيا للثورة .

٦ — يؤيد المؤتمر نضال الشعب العربي في الخليج ضد الاستعمار البريطاني والاحتكارات الغربية ، ويؤمن بأن وحدة الخليج والحفاظ على عروبته لا يتم عن طريق اتحاد مشايخ الامارات المنصبين من قبل بريطانيا .

٧ — يؤيد المؤتمر نضال الجبهة الشعبية لتحرير الخليج والحركات الوطنية الثورية ضد قوى الاحتلال البريطاني وعملائه والرجعية الايرانية .

٨ — يبارك المؤتمر موقف حكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في مؤازرة الجبهة الشعبية لتحرير الخليج ، ويطالب جميع الحكومات العربية التقدمية ، بدعم الكفاح المسلح في الخليج ، ويرى أن هذا الكفاح ، والكفاح الفلسطيني ، هما أصدق صورة للعمل الثوري العربي .

ومن اهم القرارات التي صدرت عن لجنة الثورة الفلسطينية القرارات التالية :

١ — يدعو المؤتمر المنظمات الفدائية الى رص صفوفها وتطوير هيئة الكفاح المسلح بحيث تصبح اكثر فعالية في خلق توحيد مادي لقوى الثورة الفلسطينية الشرط الاساسي لتصعيد هذه الثورة ولحملها نحو الانتصار النهائي . كما يندد المؤتمر بالمحاولات القائمة لشرذمة العمل بالاكثار المتعمد من عدد المنظمات الفدائية .

٢ — يشجب المؤتمر كافة محاولات ضرب أو حصر أو تطويق العمل الفدائي من أية جهة كانت .

٣ — يشجب المؤتمر بشدة محاولات القوى المضادة للثورة في لبنان لعرقلة مسيرة الثورة الفلسطينية .

٤ — يدعو المؤتمر الجماهير العربية للالتفاف حول الحركة الفدائية والدفاع عنها ضد كل محاولة استعمارية ورجعية .

تتمة — اضراب المعلمين •• وشروط النجاح

لم تبادر نقابة المدارس الخاصة بالاتصال مطلقا بالمعلمين الرسميين !.

— في ٧—١—٧٠ سار معلمو المدارس الخاصة في مسيرة في شوارع بيروت الرئيسية بعد أن أذاعوا بيانا دعوا فيه الى التظاهر . وشاء التاريخ أن لا يجمع المعلمين الرسميين والخاصين في نقطة واحدة من هذا الكون الشاسع فلم يوجه الطرف الاول الدعوة الى الثاني للتظاهر ، ولم يخيب الثاني ظن الاول فقاطع المظاهرة !!

— اذا كانت القطيعة بين الطرفين قد بلغت هذا المستوى فمن الجدير بالتنويه أن المعلمين الرسميين لم يصدروا بيانا بتأييد مطالب زملائهم في المدارس الخاصة ، كما أن معلمي المدارس الخاصة قد بادلوهم « نفس المعروف» فلم يعلنوا تأييدهم لاضراب المعلمين الرسميين!

قد يتساءل القاريء عند هذا الحد عن الاسباب : خصومة تاريخية ؟ عداء شوفيني ؟ عقدة التعالي اللبناني ؟ ما الخبر اذن ؟؟

حاولنا خلال السطور السابقة التأكيد على مسألة محددة وهي أن أي نضال مطلبي مهما كان واضحا ومشروعا يحكم على نفسه بالعزلة والسقوط ، اذا لم يستطع أن يضفي على مطالبه الخاصة — التي هي مطالب عامة في نهاية التحليل — طابعها العام والجماهيري ، وأن الفشل هو الجزاء الذي يصيب الحركة المطلبية ثمن عفويتها وضيق افقها وتخلفها (... ان مطالب المعلمين انما تأخذ حجمها الفعلي بقدر ما تكون تعبيرا صحيحا عن مصالح المعلمين والتلاميذ واوليائهم ، وهي تصبح هدفا للنقمة عندما تفقد هذا الترابط ، أي عندما يحاصرها المعلمون بالمعلمين ، مما يحصر المعركة المطلبية بينهم وبين الدولة التي هي أقدر ألف مرة على تخريب الاضراب وشله واجبار المعلمين على التراجع) . — العدد الثامن من « طريق الشعب » ، مقال : حول اضراب المعلمين — .

وسنحاول في المقال القادم بحث العلاقة بين اضراب المعلمين والنقابات واليسار وموقفهما منه ●●

نزار سليمان

• تتمات • تتمات •

تتمة النضال المطلبي للمعلمين والطلاب

الدولة التعليمية والثقافية من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة ، يبقى شرطا لا يمكن بدونه الطموح الى تفجير نضالات مطلبية شاملة ومترابطة في المستقبل .

ونقطة اخيرة لا بد من تأكيدها . ان المسألة لا تحل بمجرد طرح برنامج مطلبي شامل ومترابط ، فاطلاق حركة نضالية واعية بين المعلمين والطلاب أمر مرتبط اساسا بنمو مؤسسات ديمقراطية جماهيرية في صفوفهم . وقد كشفت تجربة الاضرابات الاخيرة اهمية هذه المسألة المركزية .

— ان النضال من أجل اتحاد نقابي ديمقراطي في الجامعة اللبنانية يجب أن يشكل واحدا من المحاور الاساسية في خطة اليسار .

— كما أن مطلب تشكيل اتحاد للطلاب الثانويين ، يجب أن يحتل مكانا متقدما في نضالات اليسار ضمن هذا القطاع .

— وقد كشفت تجربة اضراب المعلمين الرسميين اهمية تعميم اللجان الديمقراطية في صفوفهم نحو تنظيم نقابي يفرض نفسه في النهاية فرضا .

وان ترابط المؤسسات الديمقراطية الجماهيرية في جميع القطاعات ذات الصلة الوثيقة بالسياسة الثقافية والتعليمية هو الذي يشكل في النهاية ضمانة نضالها المشترك في ظل برنامج مشترك .

تتمة — أفكار الجبهة الشعبية الديمقراطية ومواقفها الاساسية

ان تفكك الجبهة العالمية المضادة للامبريالية، قد لعب دورا هاما في توليد سلسلة الهزائم التي تعرضت لها حركة التحرر الوطني خلال الفترة الاخيرة سواء في اسيا وافريقيا أم في أميركا اللاتينية . فقد أتاح هذا التفكك للامبريالية العالمية بشكل عام ، وللامبريالية الاميركية بشكل خاص ، فرصة الانتقال من الدفاع الى الهجوم ضد حركات التحرر الوطني في بعض البلدان المتخلفة ، كما أتاح لها الانتقال حتى الى ممارسة العدوان المباشر على بعض البلدان التي تشكل جزءا من المعسكر الاشتراكي مثل جمهورية فيتنام الديمقراطية وكوبا التي تعرضت لغزو دبرته وشاركت فيه حكومة الولايات المتحدة . ومن هذه الزاوية فنحن نؤيد محتوى رسالة تشي غيفارا الشهيرة والموجهة الى منظمة القارات الثلاث .

وفي النضال التحرري للشعوب لا بد من الانتقال من النظرية الى العمل ولا بد — كواجب أممي — من دفع ومساندة الجبهة العالمية المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية بكل الوسائل الممكنة . ولا بد أيضا من خلق جبهة عالمية متماسكة ضد قوى ثلاثر ، جبهة تضم ، بالاضافة الى حركة التحرر في القارات الثلاث ، المعسكر الاشتراكي والحركة الاشتراكية والعمالية في البلدان الرأسمالية . ●●

تتمة الفلاحون في شمال فيتنام

البيروقراطية والدكتاتورية . كما جرى اقصاء المتخاذلين والكسالى . وقد شملت هذه الحملة جميع المستويات وتجددت عام ١٩٦٨ ، وكان شعارها ارساء ادارة جماعية حقيقية . وقد جاء في النقطة الرابعة للبيان الذي اصدره الحزب بمناسبة العيد الخمسين لثورة اوكتوبر أن « عملية التثوير الديمقراطي بين صفوف الشعب سوف تستمر بنشاط بحيث يتضاعف ويتكثف الجهد الحربي والانتاجي » .

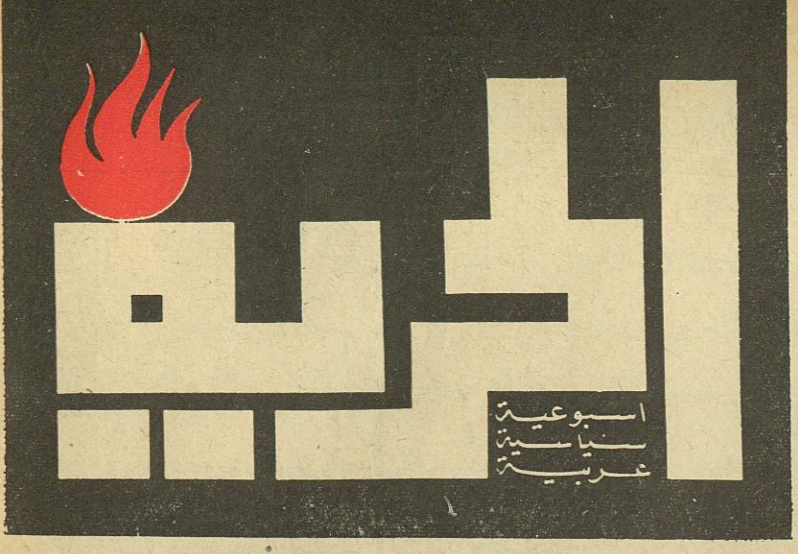
ونتيجة لهذه الحملة الديمقراطية أصبح كل عضو في جمعيات الادارة وكل عضو منطقة مسؤول عن ادارة التعاونية بكفاءة بينما أصبح أعضاء الجمعيات القروية (المنتجة على مستوى القرية) مسؤولين عن فريقين للعمل أو ثلاثة . وهكذا يتصل الموظفون الرسميون بالحقائق كما هي على الطبيعة وهم مطالبون بالظهور في الاماكن العامة مرة كل شهر ليستمعوا الى الانتقادات والاقتراحات التي يبديها اعضاء التعاونيات القروية . ومنذ تبني هذا الخط الديمقراطي الغي امتياز هام لاعضاء الجمعيات الادارية اذ أزيلت الملكية التابعة لهذه الجمعيات . ان كل شيء يطرح الان بصراحة وعلنا ، وذلك يجعل الفلاحين يشعرون أنهم مسؤولون شخصيا ، خاصة وأن عمليات تحريك الفلاحين كان يصاحبها دائما استبدال العناصر القيادية في منظمات الحزب بعناصر افضل . وبالاضافة الى ذلك فان جميع الكادرات السياسية مطالبة الان بتلقي دروس تطبيقية تدريبية في الزراعة والتقنية ، بحيث يصبح بامكان جميع الكادرات السياسية التعامل مع المشاكل المواجهة بشكل علمي مدرك لحقائق هذه المشكلات واسبابها ، بدل اتخاذ قرارات تجريدية الية حول ما يجب أن يفعل . ان هذه الظاهرة الديمقراطية في القرى لا تعني التسيير الذاتي أو تأسيس مجالس العمال وانما توجد في اطار مركزية مرنة «(٤)» .

في الحلقة القادمة :

ملامح المقاومة الشعبية الفيتنامية للعدوان الاميركي .

٤ — يقول نجوين فيين في « الديموكراتيك نوفل » بهذا الصدد :

« كنا عندما نرى الامور تسير على غير ما نرغب نلقي باللوم الساخن على الرسميين المحليين ، فيحنون رؤوسهم ويعدون بأي شيء . فنعود الى مكاتبنا وتعود الاخطاء نفسها تتكرر . اخيرا اقتنعنا أن اللوم يجب أن يكون من نصيبنا نحن كبار القادة . فسافرنا الى القرى والتعاونيات وقلنا للموظفين الرسميين هناك « لنشترك معا في حل المسائل فاننا مسؤولون مثلكم عن الاخطاء وبنفس القدر » . واهكذا بدأت الكادرات المحلية وأعضاء الحزب تتطلع الى نفسها بعين نقدية وتقترح الحلول وتهتم بشكل زائد باقتراحات الكادرات الفنية. وانتقلت العدوى الى الجماهير ، فتذكر الشبان أنهم تعلموا اشياء كثيرة في المدرسة كما أن المسنين — الذين كانوا منقطعين عن المسؤولين — أعطونا ثمار خبرتهم . لقد كان علينا لكي نقوم الامور أن نحطم اسلوب التفكير الاقطاعي الذي كان ما زال معششا في رؤوسنا » .



بيروت ● الاثنين ٢٦–١–١٩٧٠ ● العدد ٤٩٩ ● السنة الحادية عشرة ● الثمن ٢٥ قرشا لبنانيا ● AL - Hourriah - No 499 ● 26 - 1 - 1970 ● Beyrouth

العمل الفدائي ومهمات حرب التحرير الشعبية

مناقشة لمواقف الحزب الشيوعي اللبناني حول :

- الوضع السياسي الراهن وماتواجهه المقاومة الفلسطينية
- النضالات الديمقراطية في صفوف الحركة الطلابية



النشاط الفدائي :

- المقاومة في معركة غور الصافي
- عملية مناجل الشمال في الجولان للجبهة الشعبية الديمقراطية

المؤامرة - الشبح

حينما نشبت احداث تشرين ،قابلوها بأفواه مفتوحة ، وكأنهم يرون معركة تدور على شاشة السينما ،أو كأن القوى التي تتحرك لم تكن قوى خرجت من داخل الواقع اللبناني ،بل قوى « مستعارة » قادمة من أصقاع بعيدة . فلبنان الذي يعرفونه كان لبنان التوازن الدائم بين الوطنية وغير الوطنية ، بين العشائرية الطائفية والعلمانية « الثورية » وكل منها يتعايش مع الاخر سلميا ولاينقضه أو ينفيه ، وكل منها يجد مكانا في التوازن السلمي المهيمن سعيدا الى الابد . ولذلك اصابتهم احداث تشرين بالرعب وصرخوا بصوت واحد :مؤامرة .. مؤامرة طائفية .. مؤامرة أمريكية ، لا يهم ما دامت قوى الظلام وحدها هي التي تجرؤ على خرق التعايش السلمي وفتح منفذ للصراعات يخرج لبنان العزيز من سلامه وطمأنينته . وهكذا تصبح كل حركة تآمرا وكل قوة جديدة تدخل الساحة هي قوة دخيلة ، وهكذا يصير الصراع القائم صراعا خالدا بين الخير والشر ، بين قوى الظلمة وقوى النور ، أو بعبارة اخرى بين التوازن السياسي الاجتماعي القائم وبين الاصابع التي تلعب في الظلام . وعلى هذا تفسر الامور .

الاضرابات الاخيرة ، اضرابات المعلمين والطلاب، الاحداث التي تمر، حتى قصة بيلون وصادق جلال العظم،تصبح جميعها مجالا للصراخ : مؤامرة .. مؤامرة على القوى الوطنية ..مؤامرة على اتفاق القاهرة .. مؤامرة على الدين . مؤامرات تكر كحبات المسبحة ، وكلها تؤكد — في رأيهم — أن ما يجري لا دخل له باللبناني الطيب الصابر الذي لا يزج نفسه في قضايا ليست من شأنه ، وخاصة ما هو من شأن أولى الامر .

هكذا يصبح ما يجري وكأنه صراع بين الخير والشر ، لا صراعا بين قوى واقعية تحاول أن تسير الامور لصالحها وحسابها لا لحساب الشياطين او الملائكة .

● ★ ●

كلما تأزمت الامور واشتدت ، كلما صارت لبنانية الجميع فوق مستوى الشبهات ، وصار الصراع القائم بين الجميع لونا من توزيع العمل ، فكل يخدم لبنان من موقعه وعلى قدر طاقته ، وكلهم يتداعون الى اعادة الامور الى نصابها ، فما يحدث لا يمكن أن يكون الا سحابة صيف عابرة ، انكشحت عن سماء لبنان الجميلة .تجميد الامور واعادة التوازن القديم، هذا ما يحاولون جميعهم أن يقوموا به غير أن الانفجارات تكمن في كل مكان، وهذا التوازن لايمكن احياؤه الا بتعبيد الطريق واقتلاع القنابل الموقوتة ، فهو لا يستطيع أن يثبت أمام أي امتحان عسير . وهكذا يتوجب على الناس أن يلزموا الصمت «الوطني» ليتيحوا لهؤلاء أن يعيدوا ترتيب أمورهم على مهل . لكن سيل المؤامرات لا ينقطع ، فهناك اضرابات وتظاهرات ، ومطالب ، المؤامرات تقفز من كل جهة ، مثيرة اعصاب أولئك الذين يظنون أنهم يملكون عصا سحرية لاعادة كل شيء الى مكانه ، وتثبيت كل شيء في مكانه ..

الذين هم في سدة الحكم ، يغطون عجزهم عن الحركة بالاحتجاج بشبكة من المؤامرات تتربص بهم . يتحدثون عن دعم الجماهير لهم . ولكنهم يختفون خلف اصابعهم ، ويخشون من ظلهم حينما يطلب منهم أن ينتقلوا خطوة واحدة الى العمل . هاجس المؤامرة هذا ليس هاجس ذهن بدائي يظل تحت وطأة الخوف من قوى شريرة غامضة ، لكنه هاجس من تخرج مقاليد الامور من قبضته ، من تحت ومن فوق ، ولكن عليه أن يجلس متعظما على المنصة ، ليواجه الناس كأنه الخصم والحكم ..

بعد تشرين ، عادت شخصيات شائخة لتتنزه في ردهات السراي ، ودفعتها الى ذلك القوى المتسلطة الفعلية التي لم تعد تطيق مجابهة القضايا وجها لوجه . لذا لم يكن هناك بد من أن تنفخ في هذه الوجوه الهرمة لون الشباب الزائف لتستطيع هذه ، بدورها ، أن تؤمن لها تغطية محترمة . وأخذت هذه الشخصيات تسلك ، وكأن في يدها حقا مقاليد الامور ، فترسم ، وتمحو ، وتأمر ،وتنهي ، بينما كان اثناء كل هذا الضجيج ، وبعيدا عنه ، العقل الحقيقي الذي يخطط ما زال هو الذي يخطط ، واليد التي تنفذ ما زالت هي التي تنفذ ، وطوفان الكلام الهادر ، لا يغير هذه الحقيقة ولا يقلل من شأنها .

تجميد الامور ، واعادة كل شيء الى نصابه ، لصالح البورجوازية الحاكمة ، هذه هي مهمة هؤلاء ،مهما تكن الصورة التي يظهرون بها على المسرح . وكل الكلام الكثير الذي يقال ، هنا وهناك ، لا يحمل سوى مضمون واحد ، هو « تطويب » هذه المهمة ، واعتبارها مهمة وطنية عظمى ، من أجل توضيب الامور للبورجوازية الحاكمة ، يجري الحديث عن السلام والسكينة واعادة الثقة واعادة سلطة القانون . ومن أجل اتمام هذه المهمة تحت ستار من الكلمات الكبيرة ، يطلب هؤلاء من المواطنين أن يثقوا بدون حساب ،بقيادتهم الرشيدة ، بحيث يصير النقد والتساؤل نوعا من عدم الثقة تصل احيانا الى حد الخيانة ، وبحيث يستحيل الصمت عملا وطنيا . واذا كان هؤلاء يغطون ارتباكهم وعجزهم بالحديث عن المؤامرات ، ويلقون بتبعات هذا العجز على « القوى التي تعمل في الظلام » فالحقيقة أنهم وحدهم المتآمرون ، وأن الدور الذي يلعبونه في خدمة البورجوازية ، لذبح الحركة الوطنية ، لن تخفيه الاف الكلمات الطنانة ، ولا « المؤامرات » المختلفة.